جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية / كلية التربية
قسم التاريخ



المسلمون الموريسكيون في رحلة خيرونيمو مونزر الى أسبانيا والبرتغال ١٤٩٤ـ ١٤٩٥م

Muslims moresgues in Jeronimo Munzer trip to Spain and Portugal ١٤٩٤- ١٤٩٥.

د. عدنان خلف سرهيد الدراجي
Dr. Adnan k. Sarheed Al-Darraji
a.sirheed@yahoo.com

م.م. محمد أحمد ورجين
Mohamed Ahmed Warjin

غرناطة ، مونزر ، الاندلس ، العمري

١٤٣٥هـ بغداد ٢٠١٤م

المستخلص

يهتم هذا البحث بأحوال المسلمين الاجتماعيـة والاقتصادية والسياسية استنادا الى رحلة مونزر لاسبانيا والبرتغال عام١٤٩٤– ١٤٩٥م ، التـي تعد من المصادر المهمة في هذه الحقبة، اذ تعد من الشواهد النادرة التـي سجلت حياة الموريسكيين في تلك الفترة ، نظرا لسكوت المصادر العربيـة بعد سقوط غرناطة عن ذكر أحوالهم ، فجاءت هذه الرحلـة مصدراً مهما من المصادر التي ترسم لنا تاريخ المسلمين انذاك.

Abstract

This study investigates the social, economic and political conditions of Muslims to Spain and Portugal based on Jeronimo Munzer strip ١٤٩٤-١٤٩٥. This trip is considered important sources to when studying this era as it represents one of the rare historical sources that recorded the lives of Moresque's. The recorded the lives of Moresque's. The recoded of this strip has become pivotal historical document that provides some information about the Muslims in the Iberian Peninsula, especially because of the lack of Arabic documents that deal with era after the of Granada.

مقدمة

تعد رحلة مونزر واحدة من أهم كتب الرحلات في العصور الوسطى، لاسيما في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ،وتاتي أهميتها لنا بما قدمته لنا من صورة واضحة عن حال المسلمين في اسبانيا إبان تلك الفترة ، واسم صاحب الرحلة خيرونيمو مونزر Jeronimo Munzer ، وهو طبيب ألماني ، ولد في مدينة فليدكيرش feldkirch (Vozelberg) ، التي تقع في الجانب الغربي لأقليم تيرول Tirol الألماني ، وذلك في عام ١٤٦٠ م / أو ١٤٥٨م، وتوفي عام ١٥٠٨م . حصل على درجة الدكتوراه في الطب من جامعة بافيا Pavia ، ومارس مهنته في مدينة نورمبرغ ، ثم غادر إلى ايطاليا هربا من الطاعون الذي أصابها في عام ١٤٨٤م ، و عاد بعد ذلك الى نورمبرغ ، لكن ظهور الطاعون مرة أخرى أجبره على مغادرة المدينة ثانية عام ١٤٩٤م مصطحباً معه هذه المرة عدداً من الأصدقاء والأثرياء التجار الذين كانوا يتحدثون الايطالية والفرنسية ،هم :

١- انطونيو هرفارت Antonio Herwart من اوجسبورجو (Augsburgo)
٢- جاسبار فيشر Gaspar fischer
٣- نيكولاس فولكنشتاين Nicolas Wolkenstein من نورمبرغ حيث بدأوا الرحلة معاً في الثامن من اغسطس من عام ١٤٩٤م وبعد عبور سويسرا وجنوب فرنسا وصلوا الى بربنيان perpinan التي تقع بين فرنسا واسبانيا في السابع من سبتمر خلال خمسة شهور تقريباً حتى الثامن من فبراير ١٤٩٥م وقاموا بجولة في شبه جزيرة ايبريا(١).

وتعد رحلته واحدة من أهم الرحلات في العصور الوسطى لأنها جاءت بعد سقوط الأندلس بثلاث سنوات ،ورغم قصر مدتها الزمنية إلا إن صاحبها قد كتب كل ما لاحظه اذ لم تفتهُ شاردة ولا واردة الا وسجلها ، فلذلك جاءت كتابته كشاهد عيان دقيق يعكس صورة الحياة اليومية في ذلك الوقت لاسيما ما زودنا به من معلومات مهمة حول حياة الموريسكيين في اسبانيا في السنوات التي تلت سقوط غرناطة. فقد شاهدنا فيها من خلال رحلته حياتهم الاجتماعية وطقوسهم الدينية وظروفهم المعيشية ، اذ تمثل تلك الرحلة صورة حقيقية لهم ، بعد ان سكتت الى حد ما مصادرنا العربية عن تلك المدة ، بسبب ما حصل من أحداث عسكرية أدت إلى سقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ - ١٤٩٢م. وزودتنا تلك الرحلة بالمعلومات المهمة عن الموريسكيين إلا ان الملاحظ على مونزر هو التعصب الواضح للمسيحيين وثناؤه الشديد عليهم ليزيد من حظهم ويحط من قدر المسلمين أحيانا عند حديثه عنهم ، وقد وردت أكثر من مرة تفضله لهم رغم انه قد مدح المسلمين اكثر من مرة في رحلته وعلى سبيل المثال نجده عندما وصل الى مدينة تدعى اركوس Arcos قرب مدينة قلعة سالم قائلاً عنها " كان كل من فيها من المسلمين ، ما عدا حاكم القلعة استضافونا في بيت احد المسلمين ، الذي أحسن استقبالنا ، من اجل أموالنا"(٢). فرغم أعترافه ان مضيفه أحسن استقباله في بيته الا انه لا يحسن الظن به ، ويرد إحسانه ذاك الى الطمع باموالهم رغم انه لم يذكر هل اخذ المسلم الأموال لقاء ضيافته ام لا، والأرجح ان المسلم لم يفعل ولو فعل لذكرها مونز لكي يثبت صحة ادعائه.

وتعصبه واضح في كل الرحلة ، فهو يحمد الله كثيراً على قتل المسلمين وانتصار المسيحيين وتنصير المتبقي منهم، وكذلك يمجّد تحويل المساجد الى كنائس ويعدها واحدة من مفاخر ملوكهم في ذلك الوقت .وايضاً فهو لا يخفي إعجابه بالموريسكيين من جهة أخرى وما خلَّفته حضارتهم في شبه الجزيرة الأيبيرية ، كذلك كان دائماً ما يقارن بين ما يراه في رحلته هذه وما شاهده في وطنه ليقرب الصورة قدر الإمكان لمن يقرأ رحلته من مواطنيه.

وأخيرا فقد حاولت ان استخلص صورة لحياة الموريسكيين بقدر ما زودنا به مونزر عن حياتهم في ذلك الوقت مستفيدا من المعلومات التي أوردها هو عن حياتهم ، محاولا في بعض الأماكن تتبع ملاحظاته التي تخص المسلمين آنذاك تاريخياً لاسيما في الجانب الاجتماعي ،لإحداث نوع من المقارنة التاريخية بين ماضي الموريسكيين وحضارتهم أيام مونزر.

اولاً : الحياة الاجتماعية

١- الملابس :

عُرف عن المسلمين في الأندلس اهتمامهم الكبير باقتناء الملابس ، وعنايتهم بنظافتها، وذكر المقري ذلك بقوله" وأهل الأندلس اشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم ، وفيهم ممن لايكون عنده الا قوت يومه ، فيطويه صائماً ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه"(٣). وكان مونزر قد ذكر بعض ما يتعلق بلباس المسلمين اذ ذكر في اكثر من مكان في رحلته أنواعا لما كان المسلمون يرتدونه فذكر لباسهم للون الأبيض لاسيما رجال الدين قائلاً " وكان رجال الدين يرتدون البياض"(٤) ونقل أيضا إن رجال الدين في المرية لاسيما مسجدها كانوا " يرتدون ملابس بيضاء"(٥) وربما رمز اللون الأبيض في نظرهم الى النقاء والطهر. ويبدو أن" شيوع استخدام الألبسة البيضاء كان تقليداً اتبعه أهل الأندلس منذ وفود زرياب إلى قرطبة ، فانه رأى أن يكون ابتداء الناس للباس البياض منذ ٢٤ يونيه وهو عيد العنصرة (٦) الى أول أكتوبر اما، بقية العام فليبسون الثياب الملونة" (٧).ولم يقتصر لبس الأبيض على رجال الدين إنما لبس العامة لاسيما في مناسباتهم الحزينة فكانوا يلبسونه في حزنهم على موتاهم لاسيما في أيام بني أمية وذكر ذلك ابن بسام عندما شاهد غلاما يلبس الأبيض قائلا عنه "على عادة أهل أفقنا في لبس البياض عند الحزن"(٨).

وهو مخالفة لبني العباس في لبسهم الأسود في المشرق لما كان بينهم من العداوة.(٩)

وهذا ما نجده عند مونزر عندما ذكر طريقة دفن الموتى عند المسلمات اللاتي شاهدهن في غرناطة وهن يرتدين الملابس البيضاء حزنا منهن على فقيدهن اذ قال: " شاهدنا جنازة رجل مسلم ، بالقرب من المقبرة كانت هناك سبع نساء يرتدين ملابس بيضاء ، يجلسن بجانب القبر" (١٠).على ان لباسهن الأبيض في الحزن قد ورد ذكره في شعرهم الذي يوثق لتلك المشاهدة ، وهذا ما صرح به الحصري ت (٤٨٨هـ/ ١٠٩٥ م)(١١)

إذا كانَ البياضُ لباسَ حزن　　　بأندلسٍ فذاك من الصَّواب
ألم تَرنِي لبستُ بياضَ شَيبي　　　لأني قد حَزِنت على الشَّبَابِ (١٢)

وصور لنا مونزر مشاهداته حول لباس المسلمين في الأندلس وشرحها شرحاً مقتضباً أذ أشار الى العمامة التي يلبسها الرجال لاسيما رجال الدين في غرناطة قائلاً " ورأسهم معصوب بقماش ابيض"(١٣)

وفي نظرة تأمل حول هذا الموضوع نرى ان أهل الأندلس في تاريخهم الطويل قد تفاوتوا في لبس العمائم وتركها حتى الفقهاء منهم، فنرى ان ابن سعيد المغربي ت (٦٨٥هـ /١٢٨٨م). يحدثنا عن عالم مرسية الأول عزيز بن خطاب (ت ٦٣٦هـ \ ١٢٣٨م)(١٤) قائلا" ولقد رأيت عزيز بن خطاب أكبر عالم بمرسية حضرة السلطان في ذلك الأوان وإليه الإشارة، وقد خطب له بالملك في تلك الجهة، وهو حاسر الرأس، وشيبه قد غلب على سواد شعره" (١٥) ، وأكد المقري" ان أهل الأندلس كانوا لا يعرفون العمامة التي كانت عند أهل المشرق، وإذا رأوا في رأس مشرقي دخل بلادهم شكلاً منها ، اظهروا التعجب والاستظراف ، ولا يأخذون أنفسهم بتعليمها ، لأنهم لم يعتادوا ولم يستحسنوا غير أوضاعهم "(١٦). وهذا الحكم من المقري يبدو انه لم يختص بكل الأندلس أو ربما في فترات زمنية مختلفة إذ ان في غرب الأندلس كان الأمر مختلفاً معهم إذ يشير المقري نفسه الى انه " لا تكاد ترى قاضياً ولا فقيهاً مشاراً اليه الا وهو بعمامة" (١٧).

وفي شرق الأندلس نرى الأمر مختلفا اذ كان الغالب عليهم ترك العمائم ،وهو ما نلاحظه على بعض سلاطين غرناطة مثل محمد بن يوسف بن الأحمر (ت ٦٧١هـ/١٢٧٣م) مؤسس سلطنة غرناطة والبرميخو (ت٧٦٣ هـ/١٣٦٢م) سلطان غرناطة الآخر. وعَدَّ ابن الخطيب لبس العمامة في غرناطة امراً شاذاَ اذ قال ان" العمائم تقل في زي أهل الحضرة إلا ما شذَّ في شيوخهم وقضاتهم وعلمائهم ، والجند الغربي منهم"(١٨). ثم عقَّب مونزر حول لباس المسلمين في ذلك

الوقت قائلاً " لم أرَ أي رجل يرتدي جورباً ومن النادر من يلبسها حتى الركبة ، يربطونها بانشوطة في الجزء الخلفي ، حتى يتمكنوا من خلعها بسهولة في أوقات الوضوء والصلاة ، قبل دخولهم المسجد"[١٩]. وهذه الملاحظة الدقيقة من مونزر يؤكدها المقري قبله مشيراً إلى نبذ بعضهم لبس الجوارب قائلا :-

وجرب أهل جربة تلفَ قوما　　　أبوا لبس الجوارب والنعال [٢٠]

اما النساء فقد لبسن السراويل وقد أشار إلى ذلك مونزر قائلاً ان" النساء كن يلبسن سراويل واسعة ومتجعدة من الكتان يربطنها الى الوسط قرب السرة مثل الرهبان"[٢١] والسراويل من الملابس المشتركة بين النساء والرجال والكلمة من أصل فارسي من الكلمة شلوار Sharnweel[٢٢] وهو ثوب فضفاض يغطي أسفل البدن حتى القدمين ويعرف بنفس الاسم عند الأسبان حيث أطلقوا على السراويل العربية اسم Zarazuetas[٢٣]. وذكر ابن عذاري (ت بعد سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م) ان عبد الرحمن شنجول بن المنصور(ت ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م) لما قتل كان يرتدي هذه الملابس قائلاً انه ولما قتل " رُكّب رأسه على جسده وكسى قميصا وسراويل وسُمَّر على خشبة باب السدة"[٢٤].

وذكر مونزر ان نساء غرناطة كنَّ يلبسن القمصان فوق السراويل قائلاً" وفوق السراويل يلبسن قمصاناً واسعة من الكتان وفوقها رداء من الحرير او الصوف حسب الحالة المادية لكل منهن"[٢٥] وهو أيضا من الملابس المشتركة بين النساء والرجال " إما عن هيئة القميص فله كُمّان واسعان للغاية ، يهبطان الى المعصم ، ويتدلى القميص إلى منتصف الساقين"[٢٦] وكانت بعض النساء لاسيما الجواري يؤثرن الاقمصة الرقيقة الملاصقة للبدن لإبراز مفاتن أجسامهن ويذكر المقري أن جارية مشت بين يدي المعتمد بن عباد وعليها قميص لا تكاد تفرق بينه وبين جسمها [٢٧] .

وأما الرجال فكان الواحد منهم يلبس قميصا على بدنه تحت الازار والجبة او الدرّاعة . ويذكر ابن عذاري ان المستظهر بالله الأموي استخفى في تنور حمام القصر بعد ان تجرد من ثيابه حتى بقي في قيمصه ثم خرج وقد اسود قميصه[٢٨].

وعن خمار النساء المسلمات قال مونزر إنهن " يخرجن من المنزل يظهرن متدثرات بغطاء أبيض من القطن او الكتان او الحرير يغطين وجوههن ورؤوسهن بطريقة لا تظهر معها سوى العينين"[٢٩].

والمتتبع للتاريخ الأندلسي بصورة خاصة يرى ان الخمار لم تلبسه النساء الأندلسيات بصورة دائمة ، بل ان نساء الأندلس سفرنَ عن وجوههن ولم يرتدين الحجاب وقد أشار ابن الخطيب الى هذه الظاهرة قائلاً " واختلطن بالرجال حاسرات الخمار عن الوجوه"[٣٠]. وعن نساء رندة قال ابن الخطيب" ويسفرن عن الخد المعشوق وينعش قلب المشوق بالطيب المشوق"[٣١] .ونتيجة للتواجد الإسلامي في الأندلس فقد عرف ايضاً عن الاسبانيات ارتداءهن للحجاب ، وتدل الشواهد التاريخية على هذه العادة اذ تغزل ابن شهيد الأندلسي (ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م) بحبيبته الاسبانية قائلاً : -

وبين المسيحيات لي سامـرية　　　بعيد على الصب الحنيفي أن تدنو
مــثلثة قد وحد الله حسنـــها　　　فثنى في قلبي بها الوجد والحزنُ
وطي الخمار الجون حسن كأنما　　　تجمع فيه البدر والليل والدجنُ [٣٢]

ويؤكد ابن الخطيب ان تلك العادة ما زالت موجودة لعهده اذ قال ان للفقيه أبي بكر بن القمار العذري ، المتوفي سنة (٧١٣هـ / ١٣٢٣م) كانت له جارية نصرانية ،وكانت كعادة المسلمين تضع الخمار على وجهها حتى في المنزل [٣٣].

٢- **المقابر ومراسيم الدفن**

لمراسيم الدفن في الأندلس طقوس اذ يعم لبس اللون الأبيض في هذه المناسبة لانه عند وقوع وفاة في منزلٍ ما، كان احدا افراد أسرته يخرج مرتديا ملابس الحداد البيضاء على عادة الأندلسيين منذرا لجنازته والاستعداد للصلاة عليه[٣٤].

ومن خلال تلك الرحلة التي قام بها مونزر نستطيع ان نتعرف على وصف دقيق لهذه المراسيم وذلك خلال مشاهداته المتفرقة في عموم البلاد والأندلسية ففي مقبرة غرناطة التي تقع خارج باب البيرة ، وصفها لنا وصفاً دقيقاً اذ قال:" في الرابع والعشرين من أكتوبر ، خرجنا في الصباح من باب البيرة ، القريب من محل إقامتنا ، توجهنا إلى مقبرة المسلمين وتجولنا فيها. كانت كبيرة وموزعة في عدة أماكن ، مما يثير الدهشة جزؤها القديم كان مغروساً بالزيتون ، بينما الأجزاء الاخرى ليست بها أشجار"[٣٥]. وغالبا ما تقع تلك المقابر خارج أسوار المدن وفي غرناطة كانت بجوار باب البيرة[٣٦] وهي الأن تمتد تقريبا عند المساحة الممتدة بين بوابة باب البيرة القديم وساحة النصر ALTrenfo وعندما أجريت عمليات حفر في هذا المكان وجدوا تلك المقبرة وقبورا كثيرة جداً فيها تعود للمسلمين .

وأشار مونزر كذلك إلى مقابر الأثرياء التي يبدو أنها كانت تتميز عن مقابر العامة بأناقة بنائها وهندستها قائلاً:" معابد الأثرياء كانت مربعة وعلى طريقة الحدائق كانت محاطة بسور من الأحجار الفخمة"[٣٧]. ثم أنتقل الى مقبرة أخرى " تقع عند سفح الحمراء التي كانت ايضا واسعة جداً"[٣٨] وهذه المقبرة تقع في حي البيازين إذ وصفها مونزر بقوله "كانت تشغل جزءاً كبيراً من سفح الجبل أعلى المدينة "[٣٩]. وذكر مدافن ملوك غرناطة التي تقع بالقرب من هذا الجبل قائلاً " وفي الجزء الأعلى من المقبرة ، يوجد برج شاهق ، توجد فيه مدافن ملوك غرناطة "[٤٠].

هذا ما سرده مونزر حول مدافن ملوك غرناطة التي تعد اليوم مجهولة المكان رغم مكانة سلاطين غرناطة في ذلك الوقت ، وتشير بعض الروايات الى ان أبا عبد الله الصغير (٩٣٣هـ/ ١٥٢٧م) آخر سلاطين غرناطة قد نقلهم معه بعد ان عبر الى بر العدوة المغربي

واستمر مونزر في سرد تفاصيل حياة المسلمين في ذلك الوقت وبما يتعلق بمراسيم الدفن ويذكر ان المسلمين كانوا يصلّون على موتاهم وقد صادف مروره بمسجد غرناطة قدوم المسلمين وهم يحملون جنازة لهم قائلا: " وفي هذه اللحظة وصلت جنازة احد المسلمين ، فقام الإمام بالصلاة أمام الجثمان صلاة طويلة ، وفي النهاية حملوا المتوفي ليودعوه ضريحاً خارج أسوار المدينة"[٤١]. ثم وصف كيفية دفن الميت قائلاً: " ان كل مسلم يدفن في مقبرة خاصة وجديدة. مقابرهم صغيرة الى حد ما ، على قدر الجسد فقط ، يشيِّدون القبر بأربعة من الحجر، ويغطونها بالآجر ،لكي لا تلتصق الأرض بالجثة. ثم يغطون القبر بعد ذلك "[٤٢].

ثم ذكر كيفية توجيه رأس المسلم الى القبلة أثناء دفنه قائلاً: " المسلمون بالطريقة نفسها يتوجهون الى الجنوب في عبادتهم لله ، ويدفنون موتاهم ويوجهون رأس الميت نحو الاتجاه نفسه"[٤٣].

٣- **الحمّامات :**

بنى الأندلسيون الحمامات في كل مكان من شبه جزيرة ايبيريا لاهتمامهم الكبير بالنظافة بحسب النص السابق للمقري الذي أشار فيه الى حب الأندلسيين للنظافة ووصفهم بانهم " اشد خلق الله عناية بنظافة ما يلبسون وما يفرشون "[٤٤]. والمعروف ان "الحمامات الخاصة والعامة المنتشرة في المدن والقرى الأندلسية كانت تلقى العناية الخاصة من حيث الصيانة والنظافة وتأمين الراحة للمستحمين ، فالأمراء وأبناء الخاصة بنوا الحمامات في قصورهم ، بينما كان أبناء الطبقة الفقيرة يقصدون الحمامات العامة المنتشرة في الأحياء الشعبية"[٤٥]. وهذه الحمامات الخاصة كان منها حمام قصر الحمراء ، الذي أشار اليه مونزر قائلاً : " في الحمام يوجد حوض من الرخام ، كانت النساء والمحظيات يغتسلن فيه عرايا، والملك يشاهدهن من

شرفة ذات مشربيات تقع في الجزء الأعلى ، وكان يلقى بتفاحة الى التي تروقه ، إشارة منه الى انه سوف يقضي الليلة معها"[٤٦]. وربما في هذا النص بعض المبالغة من قبل الرحالة لاسيما وهو لم يكن شاهد عيان بل تناقلت ألسن العامة هذه الرواية والعامة بدورها كانت في ذلك الوقت تميل الى القصص الرومانسية وتضفي على الأحداث جانبا خياليا الى حدٍ ما.

وايضا لاحظ مونزر الحمامات المنتشرة في مدينة المرية التي كانت حتى ذلك الوقت ما زالت قائمة ولم يهدمها الأسبان. وعنايتهم بالنظافة جلئتهم من تعاليم الدين الإسلامي التي تحثهم على النظافة فأعجب بذلك الرحالة عندما شاهد مياهها الصحية والنظيفة معبراً عن اهتمام المسلمين الكبير بها فهو بعد خروجه من مدينة وادي آش متجهاً إلى غرناطة شاهد الحمامات التي كانت على بعد ميل من وادي اش قائلاً: " في الحادي والعشرين من أكتوبر (١٤٩٤م) غادرنا وادي آش عبر طرق وعرة وجبلية ،وبعد حوالي ميل مررنا ببعض الحمامات التي تتوفر بها المياه الصحية الصافية. دخلت سرداباً فرأيت كثيراً من الناس يستحمون فيها ، تذوقت المياه فوجدتها حلوة أعجبني المكان ، الذي أقيم بدقة فائقة ، لأن المسلمين كان يهتمون بالحمامات اهتماماً غير عادي"[٤٧]. وامتدح مونزر رجال غرناطة لنظافتهم قائلا " كانوا في غاية النظافة"[٤٨].

وربما كان هذا العجب من رحّالتنا بنظافة المسلمين هو ما شاهده في بلاده أو هي نظرة الأوربيين للنظافة والاغتسال السلبية بصور عامة اذ ان الأسبان وابتداء من فترة حكم الفونسو العالم ، تركوا استخدام الحمامات ،واعتبروا هذا التقليد من أسباب التخنث[٤٩]. فكانت عادة الاستحمام في اوربا مستهجنة وايضاً عدت عادة وثنية ، وتمارس على انها زندقة أو جريمة كبرى وأخذت جانبا عقائديا واضحا فقد" أصبحت العفة تقاس بدرجة القذارة" [٥٠] وفي نص واضح وصريح فان إحدى الراهبات ذكرت في مذكراتها " أنها الى سن الستين لم يمس الماء منها إلا أناملها عندما كانت تغمسها في ماء الكنيسة المقدس " [٥١] ،وكان ملك فرنسا لويس الرابع عشر لم يغتسل في حياته قط ، بل كان يكتفي بالعطور والدهان[٥٢]. وهكذا كان الأمر حتى ان الملكة ايزابيلا ملكة اسبانيا التي عاصرها رحّالتنا كانت " تفتخر بأنها لم تغتسل في حياتها إلا مرتين يوم ولادتها سنة [٨٥٤هـ]١٤١٥م وليلة عرسها [٨٦٣هـ] ١٤٥٩م ، وغُسلت حين ماتت سنة [٩٠٩هـ] ١٥٠٤م فتمت لها الغسلة الثالثة ، والحقيقة إنها لم تغتسل إلا مرة واحدة وهي ليلة عرسها لان غسلها يوم ولادتها وغسلها يوم موتها ليس من عملها"[٥٣].

٤- الزواج والطلاق :

إحدى الممارسات الاجتماعية المهمة التي أشار اليه مونزر في رحلته ومشاهدته في اسبانيا هي طريقة الزواج ومعلوماته عن الطلاق بين المسلمين في البداية ذكر تقدير المسلمين لنسائهم قائلاً : " يمنع القرآن الأزواج من ضرب زوجاتهم او قتلهن حتى وان لم يطلقوهن"[٥٤].

ثم يسهب في شرح شروط الزواج قائلا : " في عقد القران يتم الاتفاق على شروط معينة تختلف بحسب الحالات لكل زوجة منزل صغير ، وعلى العموم كانت تلك المنازل نظيفة جداً ، ومزودة الى جانب ذلك ، بالزيت والطحين ،والحطب ، واللوازم الضرورية الاخرى ، الصداق كان يتناسب مع مركز المرأة الاجتماعي ، يتكون من القلائد والملابس"[٥٥]. ومن ثم ذكر عدد الزوجات اللاتي سمحت بها الشريعة للمسلم قائلاً: " مباح للمسلمين ان يتزوجوا حتى أربع نساء"[٥٦]. ثم استدرك فيما بعد قائلاً " كان المسلمون المستقيمون يقنعون بزوجة واحدة ،وينحرجون من اتخاذ زوجات عدة " [٥٧]. واظن انه لم يقصد بكلمة المستقيمون انهم صالحون والآخرون الذين يتزوجون باربع غير صالحين إنما أراد أنهم الرجال الذين في اغلب الأحوال يعيشون حياة مستقرة مع زوجاتهم . وفي مكان اخر عاد وذكر انهم يستطيعون الزواج بسبع نساء[٥٨]. وهو ما يعد جهلاً بالحكم الإسلامي في مثل هذا الموضوع . اذ ان المعروف عن حكم الإسلام في موضوع الزوجات هو ان لا يتعدى أربع زوجات . ثم قارن بين الزواج الإسلامي والمسيحي في بعض جوانبه قائلاً: "عند المسيحيين ، لا يسمح بالاقتران إلا بواحدة ، ولا يستطيعون تطليقها. صوت الرجل عندهم أعلى منه في شريعتنا "[٥٩].

ومن ثم فقد فصَّل له رجل فقيه مسلم شروط الطلاق بسبب الزنا وهو طلاق يختلف بشروطه عن الطلاق للأسباب المذكورة أعلاه فوجهه الاختلاف هو من ناحية الصداق اذ ان في الطلاق السابق تحتفظ المرأة بالصداق "ما عدا التي تطلق بسبب الزنا ، التي تكون عند ذلك مطلقة مجردة فيحتفظ الزوج بالصداق ، ولا يمكن للمرأة ان تطالبه بشيء منه اذ ان الزنا يجلب للمرأة عارا كبيرا ويزدريها الآخرون"(٦٠). ويقع مونزر بعدة متناقضات حول هذا الموضوع نظراً لتعصبه لشريعته وحقده على المسلمين ، ولان هذا الموضوع هو موضوع خلافي بين الديانتين الإسلامية والمسيحية لذلك يسعى للنيل من أحكام الإسلام في هذا الموضوع فذكر ان المسلمين يطلقون نساءهم "لاتفه الأسباب"(٦١).

ونلاحظ انه أورد معلومات حول نفس الموضوع قائلاً " لا تستطيع المرأة ان تطلق الزوج إلا اذا كان هناك سبب خطير ، مدون في عقد القران"(٦٢) ، وهو ما يثبت ان الطلاق ليس أمرا هينا كما أشار هو من قبل. وكانت معظم عقود الزواج مشروطة بشروط خاصة على الزوج اذا اخلَّ بأحدها كان الطلاق حقا للمرأة في أي وقت شاءت دون الرجوع الى الإجراءات الكثيرة للإثبات ، كأن يشترط الرجل على نفسه ان غاب عن زوجته مدة يتفقان عليها فلها ان تطلق نفسها(٦٣).

وأشار كذلك الى مصير الأبناء بعد الطلاق نقلاً عن فقيه سرقسطة قائلاً " اذ كان يوجد ابن وحيد ، يحتفظ به الزوج ، واذا كانا اثنان ، يأخذ كل واحد منهما ابنا ، اما اذا كانوا ثلاثة فاثنان للزوج وواحد للزوجة ...الخ "(٦٤).

وفي الثامن والعشرين من يناير من عام ١٤٩٥م شاهد مونزر في مدينة سالم Medinaceli وبالتحديد عند مدينة صغيرة تبعد عنها ٣ فراسخ تدعى اركوس Arcos زفافا إسلاميا وصف احتفالهم بعرسهم قائلاً "راينا هناك كثيراً من المسلمين الذين كانوا يحضرون حفل عرس ، واخذوا في الغناء حسب عاداتهم ، وبعض الفتيان الرائعات الجمال. يعيشون في قناعة كبيرة ، ولا يشربون غير الماء وصحتهم جيدة "(٦٥). وكان من عادة المسلمين في مثل هذه المناسبات ان يحضر المغنون والراقصات وضاربو الدفوف(٦٦).

ثانياً : تجمعاتهم السكانية

بعد ان سقطت آخر الممالك الإسلامية في الأندلس عام ٨٩٧هـ - ١٤٩٢م رحل من رحل الى خارج غرناطة اما الى المغرب العربي او الى بقية المدن المجاورة او بقي في غرناطة وسموا بعد ذلك بالموريسكيين ، وبعد سقوط غرناطة بقليل زار رحّالتنا اسبانيا وأعطى صورة واضحة لتجمعات المسلمين هناك وكان ذلك قبل ان يبدأ الضغط على المسلمين للرحيل والتخلي عن ديانتهم ، وايضاً قبل ان تبدأ محاكم التفتيش بعملها المشؤوم والسيئ الصيت ، وسوف نبدأ مع مونزر في ذكر تجمعاتهم حسب أولوية المدن التي زارها ونبدأ بذكر مدينة :

١- **بلنسية** Valencia :-

ذكر مونزر انه يوجد للمسلمين " حي خاص منفصل مغلق بسور " (٦٧).

هذا بالنسبة للمسلمين داخل بلنسية الذين فضلت السلطات الاسبانية جمعهم بحي خاص لمراقبتهم جيداً ، اما في خارج المدينة فقد انتشر المسلمون بصورة واضحة وهو ما أشار اليه بقوله "سكان القرى والضواحي القريبة من المدينة كلهم تقريباً مسلمون ، يعملون بمهارة ، في فلاحة الارض"(٦٨).

٢- لقنت Alicante:-

وفي طريقة الى مدينة لقنت أشار الرحالة الى تجمعات المسلمين في هذه المدينة مشيراً الى ساحل مدينة لقنت الذي عبَّر عنه بانه "ما هول بالمسلمين" (٦٩). هذه الكثيرة أهلتهم بان يسيطروا على الزراعة بشكل واضح .

٣- **مدينة التش Elche:-**
وفي الثاني عشر من اكتوبر عام ١٤٩٤م وصل مونزر الى مدينة التش التي تقع بين غرناطة وبلنسية وأشار الى تجمعات المسلمين الذين يتشاطرون هذه المدينة مناصفة بينهم وبين المسلمين ، غير ان الرحالة ذكر ان المسيحيين هم أصحاب المدينة بغلبتهم لسكانها الذين يعتاشون على الزراعة[٧٠].
واشار بعد ذلك الى انه في الثالث عشر من اكتوبر من العام نفسه عبر" سهلاً فاصلاً ومدناً خاصة بالمسلمين" [٧١]وكان ذلك السهل على بعد خمسة فراسخ من مدينة أوريولة (Oriola) Orihuela [٧٢].

٥- **سورباس (Sorbas (Sorbus:-**
وبعد ان دخل الرحالة مملكة غرناطة **Granada** وفي الطريق اليها وصل الى مدينة صغيرة تسمى سورباس (Sorbas (Sorbus التي تقع على جبل شاهق على مسافة ستة فراسخ من بيرة ، كان كل سكانها من المسلمين[٧٣].

٦-**طبرتش (Tabernas (Tabernus :-** ذكر مونزر ان جميع من في المدينة هم من المسلمين باستثناء مسيحي واحد نزل عنده[٧٤] وكانت تلك المدينة تقع بالقرب من سورياس وتبعد عنها نحو خمسة فراسخ[٧٥] .
٧- **وادي اش Guadix :-**
هذه المدينة طرد منها أهلها بعد سقوط غرناطة كما صرّح مونزر وسكنوا بعد ذلك كما اشار هو في " القرى التي نسميها الان Villas بصفة عامة كان يسكنها المسلمون الذين يعيشون على القليل من الطعام ولا يشربون الا الماء ، ينكبّون بصفة عامة على زراعة الأرض والحقول" [٧٦].
٨- **قلعة (LaPesa (La Pessa :-**
وصلها الرحالة مورنز وذكرها في رحلته قائلاً أنها " كانت تقع على جبل شاهق كل من كان في القلعة مسلمون " [٧٧]ثم يستدرك قائلاً :- " ما عدا حاكم القلعة الذي استضافنا"[٧٨].
٩- **مدينة غرناطة Granada:-**
دخلها رحالتنا في الثاني والعشرين من اكتوبر عام ١٤٩٤م وذكر انها اكبر مدينة تعج بالمسلمين وكانوا في ذلك الوقت ما زلوا يحتفظون بعاداتهم وتقاليدهم وديانتهم قبل ان ينقضَّ عليهم الأسبان ناكثين عهودهم معهم وقد وصفها قائلاً: " في الثاني والعشرين من أكتوبر ، بعد الظهر ، دخلنا مدينة غرناطة الرائعة ، المزدحمة بالسكان مررنا بشارع طويل جداً ، بين أعداد لا تحصى من المسلمين"[٧٩] . ثم يسهب في ذكر حياتهم وتفاصيلها لاسيما وصف مسجدهم الأعظم وطريقة صلاتهم. ثم يردف قائلاً " واعتقد انه لا يوجد في كل أوربا ولا في أفريقيا مدينة اكبر من غرناطة "[٨٠]، وقد اقترح ان تسمى هذه المدينة مملكة اكثر من تسميتها مدينة. وفي غرناطة يسهب مونزر في وصف منازل وتجمعات المسلمين وأحوالهم ، ففي معرض حديثه عنهم قال " كان عدد المسلمين الذين كانوا يقومون بتشييد المنازل هناك كثيراً ، وايضاً الذين كانوا يعلمون في إصلاح ما تهدم من القلعة أو الممتلكات الملكية الاخرى ، فان ملك غرناطة بعد ان تأكد انه لا يمكنه مقاومة ملك اسبانيا المسيحي ، سمح لهم بهدم الكثير من المباني"[٨١].
وكان هؤلاء المسلمون لا يسمح لهم بالمبيت في الحمراء [٨٢]، بعد ان كانوا سادتها ، خوفاً من ان يثيروا الشغب داخلها.

وأشار مرة أخرى الى عملهم قائلاً " في السادس والعشرين من أكتوبر [١٤٩٤م] عندما كنّا هناك ، رأينا مسلمين كثيرين يزينون ويرممون الصور والأشياء الاخرى بما يتفق مع أسلوبهم"(٨٣) . ثم صّور لنا صلاة المسلمين في مسجد غرناطة الكبير اذ انه أشار قبل ذلك الى العدد الكبير من المساجد فيها حتى انه قد وجد صعوبة في تصديق هذا العدد(٨٤)، وأذهله منظر المصلين الذين وصلوا الى المسجد الجامع حتى اكتظّ بهم المسجد فخرجوا يصلون في الطرقات وأحصاهم في عدد تقريبي مقدرا أعدادهم بين ألفين أو ثلاثة آلاف رجل"(٨٥)، وهو رقم كبير ويشير الى الوجود الكبير للمسلمين في غرناطة بعد سقوط دولتهم ، وايضا يستنتج من هذا الموقف ان الأسبان لم يتعرضوا للمسلمين لحد هذا الوقت . ثم وصف مونزر حياً من أحياء غرناطة وهي حي البيازيين اكبر أحياء المسلمين قائلاً " تقع مدينة البيازين في جهة الشمال ، خارج الأسوار القديمة لمدينة غرناطة ، بها شوارع ضيقة ، حتى ان بيوتها في معظمها تتلامس في اعلاها ، وعموما فانه لا يمكن ان يمر حماران يكونان معا في اتجاهين متضادين في الشوارع الأكثر شهرة ، التي ربما يكون عرضها أربعة او خمسة اذرع"(٨٦). ثم وصفها وصفا دقيقاً قائلاً " بيوت المسلمين في معظمها صغيرة ، غرفها قليلة ، غير نظيفة من الخارج ، شديدة النظافة من الداخل ، كلها تقريباً مزودة بأنابيب للمياه وأحواض. وكان من المعتاد ان تكون من الأنابيب والمجاري المائية اثنتان ، واحدة للمياه الصالحة للشرب ، والأخرى للصرف الصحي والفضلات ... الخ. وكان المسلمون يهتمون كثيراً بهذه الأمور ، وكانت تنتشر في كل الشوارع قنوات لصرف المياه غير النظيفة. وكانت البيوت التي ليس بها أنابيب ، بسبب ضيق المكان ، تلقي بفضلاتها خلال الليل في هذه القنوات. وعلى الرغم من أن قنوات الصرف الصحي ليست كثيرة ، فان الرجال كانوا في غاية النظافة"(٨٧). ثم عقد مونزر مقارنة بين بيوت المسلمين وبيوت المسيحيين قائلاً " في بلاد المسحيين كان المنزل يشغل مساحة أكثر اتساعاً من المساحة التي تشغلها أربعة أو خمسة بيوت لدى المسلمين في الداخل البيوت متشابكة ومضطربة ، حتى تبدو وكأنها أعشاش خطاطيف"(٨٨). وفسر ما يشاع عن كثرة بيوت غرناطة التي قيل انها بلغت أكثر من مائة الف بيت(٨٩) ، فهو يعزوا هذه الكثرة الى صغر حجم هذه البيوت .ثم صور لنا محلاتهم التجارية قائلاً " كانت المحلات والبيوت تغلق بأبواب بسيطة من الخشب ،ومسامير ،وعصي ، كما هي العادة في مصر والمغرب ، لان كل المسلمين يتفقون في العادات ، مثلما يتفقون في الدين والأدوات ، والمساكن وبقية الأشياء"(٩٠). ويستدرك ان تصميم هذه المنازل إنما هي لعامة المسلمين ، بينما أثرياء المسلمين بيوتهم خاصة فهي اكبر وأكثر أناقة قائلاً " كان النبلاء والأثرياء المسلمون يمتلكون في غرناطة بيوتاً فخمة ، لها أفنية وحدائق ومياه جارية ووسائل راحة اخرى"(٩١).

واحصى مونزر عدد من فرَّ الى غرناطة من سكان المدن المجاورة أيام الحصار الاسباني قائلاً " كانت مدينة غرناطة مكتظة بالسكان ، فانه في وقت الحصار فرَّ إليها سكان المدن الاخرى المجاورة التي استولى عليها المسيحيون ،ولذلك احتشد في المدينة أكثر من مائتي ألف رجل مسلح من أهل المدينة والفارين اليها من المدن الاخرى"(٩٢).

ثم أشار الى أعداد المسلمين الذين هاجروا الى المغرب قائلاً " بعد الاستيلاء على غرناطة ، وخضوعها للمسيحيين أكثر من أربعين ألف رجل من المسلمين عبروا الى المغرب مع ملوكهم"(٩٣). وتناقص عدد سكان غرناطة بعد ذلك وهُجِّروا من المدن وازداد نفوذ الأسبان في المدن الكبيرة وضواحيها اذ قال مونزر انه " شيئاً فشيئاً تم القضاء على مقاومة المسلمين ، حتى تخلصوا منهم جميعاً ، وسُكنت المدن الكبرى والضواحي بالمسيحيين"(٩٤).

١٠- **مدينة لشبونة Lisboa :-** في اليوم السادس والعشرين من نوفمبر عام ١٤٩٤م وصل الى لشبونة وكان قد شاهد قرب قلعة عندها بيوتاً للمسلمين هناك قائلا:-" بجانب أسوار المدينة ، أسفل القلعة مساكنهم ومسجد كنا فيه"(٩٥).

١١- **مدريد Madrid:-** وصل اليها مونزر في السابع عشر من يناير من عام ١٤٩٥م وبالرغم من ان هذه المدينة سقطت بيد المسلمين بوقت مبكر وكان ذلك سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م غير ان مونزر الذي وصل اليها عام ١٤٩٥م حدثنا عن أنه كان هناك " حيان للمسلمين ممتلآن بهم"[٩٦].

١٢- **مدينة اراكوس Arcos :-**

تقع في قلعة مدينة سالم Medinaceli وصل الى القلعة في الثامن والعشرين من سنة ١٤٩٥ م وبالتحديد الى " مدينة صغيرة تدعى اركوس Arcos ، كان كل من فيها من المسلمين ، الذي أحسن استقبالنا ، من اجل أموالنا"[٩٧] .

نلاحظ انه رغم كرم هؤلاء المسلمين معه إلا انه يقول ان هذه الاستضافة كانت من اجل المال وهو نوع من التعصب لبني جلدته اذ ان كل الصفات الحسنة يسبغها عليهم وهو ما رأيناه في طول ما كتبه في رحلته عنهم ، أما المسلمون فهو يتهمهم اينما وجدهم.

١٣- **قلعة وحصن سرقسطة الجعفرية :-**

في هذه المدينة يوجد ربض المسلمين شاهدها مونزر بنفسه ووصفها قائلاً " للمسلمين مكان مخصص ومدينة يعيشون فيها ، أسفل دير الرهبان ، في القسم الجديد من المدينة ، في بيوت جميلة ونظيفة ،وأماكن للبيع ، ومسجد رائع"[٩٨].

واسترسل في وصف عام لتواجد المسلمين قائلاً " توجد قرى كثيرة وكبيرة يقطنها المسلمون فقط ، في بعض الأقاليم حيث يمكن ان يعيش ستون مسلماً في راحة ، لا يستطيع ان يعيش في المساحة نفسها إلا خمسة عشر مسيحياً فقط يعتنون جدا بري الأرض وزراعتها ، زاهدون في الطعام يخفون ثروات كبيرة" [٩٩].

ثالثاً: حياة المسلمين الدينية ومساجدهم :_ كان المجتمع الأندلسي أيام حكم العرب المسلمين لاسبانيا حكم قائم على الشريعة الإسلامية والمحافظة على الإسلام كهوية تميزهم عن غيرهم ، واحتفظ المسلمون بعاداتهم وتقاليدهم الدينية حتى مع سقوط حكمهم الإسلامي قبل ان تتسلط عليهم محاكم التفتيش سيئة الصيت ، فعندما شاهد مونزر جموع المسلمين في اسبانيا والبرتغال نقل ألينا مشاهداته حول مناسكهم وجوامعهم وكيفية أدائهم لمناسكهم . فأول ما شاهده مونزر من ملاحظات حول المسلمين وأدائهم لشعائرهم الدينية موعد صلاة المسلمين فقد أشار إلى ان موعدها " كل صباح ، قبل شروق الشمس بساعتين ، في بهجة الصباح وكذلك عند الظهر والمساء"[١٠٠] . ويضيف قائلا "سمعتهم عند الظهر يؤذنون فوق مآذنهم،على حسب عاداتهم"[١٠١].ويفصلها قائلاً " يصعد رجال الدين الى المآذن ، ويرددون بصوت عال " الله اكبر ، وقادر على كل شيء ، ومحمد رسول الله "[١٠٢]. هو يشير بذلك الى مقدمة الأذان التي عرفها المسلمون وقد نقلها بمعناها وليست بكلماتها المخصوصة بهذا المجال.

ثم استمر بذكر تفاصيل تهيء للمسلمين للصلاة ابتداء بالوضوء وقد أشار إليه حسب وصفه لهم قائلاً " قبل الصلاة يغسلون أقدامهم ، وأيديهم وعيونه والشرج والخصيتين"[١٠٣]. وهي إشارة لوضوئهم بالإجمال وحسب ما نقله وحسب ثقافته المسيحية ، وكان من عادة المسلمين ان يجعلوا نافورة في الجامع يتوضأ منها المسلمون وقد شاهدها مونزر تتوسط حديقة مسجد المرية قائلاً : "وفي وسطها [حديقة المسجد] توجد نافورة التي على حسب طقوسهم كانوا يغتسلون فيها ثم يدخلون الى المسجد للصلاة "[١٠٤]. ونتيجة لاندهاشه وتعجبه مما رأى فقد فصّل القول بكل ما شاهده من ممارسات المسلمين في المسجد ، وربما هو لم يشاهد مسلمين بهذا العدد الكثيف يمارسون صلاتهم ، لذلك استمر بسرد تفاصيل ادائهم للصلاة لاسيما في يوم الجمعة ،التي كانت بمثابة عيد المسلمين وعطلة كما أشار مونزر[١٠٥] وفي هذا اليوم اعتاد المسلمون على الذهاب الى مسجد البيازين الأعظم في غرناطة بأعداد كبيرة جداً قدّر عددهم بأكثر من الفين أو ثلاثة

آلاف رجل قائلاً " اقتربنا من المسجد الأعظم ، في وقت الظهر ولأنه كان يوم الجمعة ، وهو عيد عند المسلمين ، رأيت كثيراً من المؤذنين يعلنون الصلاة من على المآذن ، وسارع عدد اكبر من المسلمين بالحضور ، وعندما امتلأ المسجد بهم اضطر كثير منهم الى البقاء في الخارج ، اعتقد انه كان يوجد اكثر من الفين او ثلاثة آلاف رجل ، ونحن واقفون بجانب الباب ، نتابع شعائرهم ، رأينا إمامهم الأعظم يجلس على مقعد عالٍ يلقي خطبة دينية لمدة نصف ساعة تقريباً . بعد ذلك وبإشارة منه لرجال الدين الآخرين وهم وقوف ، كانوا يحنون رؤوسهم ، ويسجدون على الأرض ، كما يفعل رهباننا في الاجتماعات [ربما أراد من خلال هذه المقارنة ان يوصل طريقة المسلمين في صلاتهم لأذهان مواطنيه]، مالوا نحو الأرض، ومن جديد وبإشارة أخرى انطلقوا في صلاتهم ، وقاموا ووصلوا الصلاة في ورع عظيم، كانوا حفاة الإقدام. وهكذا قاموا وسجدوا على الأرض ثلاث مرات، واخيراً وقفوا وأنهوا الصلاة ، ثم مضى كل واحد منهم الى عمله"(١٠٦)، ثم أشار إليهم مرة أخرى قائلاً أنهم يظهرون الحزن في اذانهم ،(١٠٧) وهذا الحزن الذي أشار اليه مونزر هو الترتيل في آذانهم. وأشار الى دور الإمام في إمامة المصلين وواجبه قائلاً " بإشارة من الإمام يحنون اولاً الرأس ، يضربون الصدر [ليس ضرب ، الصدر بمفهوم الضرب ، وانما هي طريقة التكتف في صلاتهم وذلك بان يضع المسلم يديه على صدره في الصلاة] ثم يسجدون في الأرض ويبتهلون ، ثم يقفون من جديد ، يعملون هذا ثلاث مرات ، ويؤمنون ايماناً مطلقاً إنهم بعملهم هذا ستغفر خطاياهم وذنوبهم".(١٠٨) ثم يعترف على مضض ورغم تعصبه الدينية قائلا :-" في الحقيقة إنهم مخلصون في توقير الله حسب عاداتهم"(١٠٩).

وذكر ان رجال الدين كانوا " يرتدون البياض"(١١٠)، وكذلك أشار الى مساجد المسلمين ومشاهدها الكثيرة وقد اورد معلومات كثيرة عنها فعلى امتداد رحلته في اسبانيا والبرتغال ، كان يذكر مساجد المسلمين وإعجابه الكبير بها وبزخرفتها وعمرانها ، ومن ثم ذكر ما حوُل منها الى كنائس بناءً على الأوامر التي صدرت بتحويلها ، فعند ذكره لمسجد المرية قال " المسجد تحول الى كاتدرائية المرية كان واحداً من اكثر المساجد جمالاً في كل مملكة غرناطة "(١١١) ثم استمر في وصفه قائلاً " كان هذا المسجد عجيباً وعظيماً ، انه رائع جداً يستند الى اكثر من ثمانين عموداً على عهد المسلمين ، كان يوقد فيه اكثر من ألف مصباح طول اليوم . زرنا غرف الزيت المهداة الى المسجد ، والغرفة السرية التي كانت مخصصة للإمام"(١١٢) وهو بذلك ومن خلال إشارته الى أعمدة المسجد الثمانين فهو يشير الى كبر حجم المسجد ، ثم ووصف الحدائق التي كانت فيه قائلاً " في وسط المسجد توجد حديقة واسعة مربعة الشكل ، مغروسة بأشجار الليمون وبالأشجار الاخرى أرضها مغطاة بالرخام ،وفي وسطها توجد نافورة ، التي على حسب طقوسهم ، كانوا يغتسلون فيها ثم يدخلون الى المسجد للصلاة، المسجد جميل جدا طوله مائة وثلاثَ عشرة خطوة ، وعرضه اثنتان وسبعون"(١١٣) ثم ذكر ان هذا " المسجد تحول الى كنيسة مكرسة للسيدة مريم العذراء ، ومقر اسقفي لحوالي عشرين راهباً"(١١٤).

وبعد وصوله الى مدينة وادي اش شاهد جمال مسجدها وهو هذه المرة سداسي الأضلاع بحسب ما نقل قائلاً : " مسجدها جميل جدا ، سداسي الأضلاع ، به سبعون عموداً كاملة ، وفي وسطه حديقة جميلة تتوسطها نافورة للوضوء حسب التقاليد الإسلامية"(١١٥).

ومن بعد ذلك أشار الى تحوله الى كنيسة على أيدي الأسبان بعد سقوط سلطته غرناطة قائلاً "هذا المسجد تحول اليوم الى كنيسة مكرسة للسيدة مريم العذراء ، بها أسقف واثنا عشر كاهناً "(١١٦).

وعند وصوله الى غرناطة في (٢٢) أكتوبر سنة ١٤٩٤م أذهله كثرة مساجدها وانتشارها في المدينة التي كان عددها بحسب ما أحصاه هو اكثر من مائتين مسجد صغير(١١٧). وبعد ان تجول في غرناطة هاله عدد المساجد فيها فبعد صعوده مئذنة احد جوامع البياسين قال" ومن هناك أحصيت عدداً من المساجد وكان من الصعب علينا تصديق هذا العدد"(١١٨). وقد كان قاصداً مسجد غرناطة الكبير تشده الرغبة في ذلك، ويبدو انه كان قد سمع حول فخامة هذا المسجد وروعة بنائه ما جعله يرغب بشدة في زيارته حتى انه أطلق عليه مسجد غرناطة الأعظم

وهذه التسمية كانت شائعة عند أهل غرناطة ونراه قاصداً له وراغباً فيه قائلا عنه " في زيارة مسجد غرناطة الأعظم وللدخول كان علينا ان نخلع أحذيتنا ، اذ في هذا الوقت سقطت الامطار ،وكان الشوارع مغطاة بالوحل"(١١٩). ثم أشار الى أثاث المسجد بعد دخوله قائلاً : " كانت كل أرضيات المسجد مغطاة بحصائر لطيفة من الاسل الأبيض " (١٢٠). ومن ثم بعد ذلك ذكر طول المسجد وعرضه قائلاً " عرض المسجد ست وسبعون خطوة وطوله مائة وثلاث عشرة وفي وسطه فناء به نافورة للوضوء ، وتسعة أروقة ، في كل رواق يوجد ثلاثة عشر عموداً ضخماً ، وأربعة عشر عقداً ، بالإضافة الى الأعمدة الجانبية "(١٢١).

وبعد ان انتقل الى الحمراء وشاهد عظمة قصورها وحدائقها أشار الى مسجد هناك وصفه بالعظيم قائلاً :" يوجد في الحمراء أيضا مسجد عظيم"(١٢٢). ثم ذكر بعد ذلك انه حُول الى كنيسة قائلاً " كرس [هذا المسجد] ألان للسيدة مريم العذراء ومقراً لرئيس الأساقفة"(١٢٣). وفي حي البيازين أيضا أبدى مونزر إعجابه بمسجد من مساجدها وهو اصغر من مسجد غرناطة الأعظم ولكنه حسب قوله اكثر مجالاً منه فقال " يوجد مسجد جميل به مئة وثمانين عموداً ، مساحته اصغر من مسجد غرناطة الأعظم ،ولكنه أكثر منه جمالاً به حدائق جميلة غنية بالزيتون" (١٢٤). وأثناء توجهه نحو المدينة وعلى قمة الجبل وأمام الحمراء شاهد" مسجداً آخر ، جميلا ، ولكنه ليس كبيراً ... رأينا في حديقته شجرة زيتون هائلة، اكبر من شجرة البلوط ، محملة بالزيتون"(١٢٥). وبعد ذلك أشار وحسب ما ترتب على سقوط غرناطة الى ان هذا المسجد حول الى كنيسة قائلاً " استولى عليه الأسقف من المسلمين بأمر الملك وحوله الى كنيسة مكرسة لسان خوسية ومريم العذراء ووقفه على الاكليروس"(١٢٦). وفي مدينة مالقة التي وصلها في التاسع والعشرين من أكتوبر عام ١٤٩٤م شاهد هناك مسجدا كبيرا وفيه قال "ومسجد عظيم به مائة وثلاثة عشر عموداً كاملاً "(١٢٧) ، تحول فيما بعد الى مركز أسقفي(١٢٨).

أما مدينة اشبيلية التي وصلها في الرابع من نوفمبر من عام ١٤٩٤م فشاهد مسجدها الأعظم وقد حول الى كنيسة قائلاً:" صعدت الى أعلى برج من كنيسة السيدة مريم العذراء التي كانت المسجد الأعظم على عهد المسلمين"،(١٢٩) وكذلك " من بين الآثار التي توجد بها من العهد الإسلامي ، مسجد ضخم ، لا تزال حديقته وثلثاه باقيين الى الآن ، كان طول المسجد مائتين وخمسين خطوة وعرضه مائة وتسعون، طول الحديقة اليوم مائة وأربعون خطوة بقياسنا . يوجد في وسطها نافورة جميلة جداً . كان المسلمون يستحمون فيها"(١٣٠)، وهو وصف دقيق لحجم المسجد واتساعه والآثار الاخرى ومنها النافورة التي كانت تستخدم للوضوء أثناء الصلاة التي عبر عنها بالاستحمام جهلاً منه بآداب الوضوء للصلاة.

وفي البرتغال وتحديداً في مدينة لشبونة كان هناك مسجد للمسلمين يقع بجانب أسوار المدينة أشار اليه مونزر في مشاهدته لجغرافية المدينة(١٣١).

وآخر ما ذكر من مساجد المسلمين هو مسجد سرقسطة وقد حول الى كنيسة وصفها قائلاً " الكنيسة واسعة جميلة ومشيدة في غاية الكمال .. كانت فيما مضى مسجداً للمسلمين"(١٣٢) ثم أشار الى مسجد آخر قديم حول ايضاً الى مصلى قائلاً: " واليوم يوجد في الرواق مسجد قديم يوقره المسلمون توقيراً عظيماً . الآن أصبح مصلى مكرساً للسيدة مريم"(١٣٣).

من خلال هذا العرض لمشاهدة مونزر في شبه جزيرة ايبريا حول المساجد نلاحظ انها كانت، تقريبا، مصممة بنفس الأسلوب حيث الأعمدة توحد تصميمها وتختلف فقط من حيث الكبر والصغر بالنسبة للمسجد، وتوجد الحدائق المحيطة بالمساجد التي ما ان يذكر المسجد يذكر حدائقه التابعة له ، وايضا الأمر المهم في المسجد هو النافورات التي كانت توفر الماء للمصلين لغرض الوضوء فلا يخلو مسجد منها نظرا لأهمية الوضوء في الصلاة ، وكان المسجد يضاء بواسطة المصابيح التي تزين المساجد(١٣٤)، اذ شاهد مونزر نواقيس غنمها المسلمون من المسيحيين قاموا بثقبها في مواضع كثيرة وعملوا في تجويفها دوائر كثيرة بشمعدانات صغيرة ، يضعون فيها مصابيح صغيرة ، حتى انه كان في ناقوس واحد فقط ثلثمائة مصباح صغير ، وفي

المساء يوقد ألفان أو أكثر من المصابيح الصغيرة ، واهم تلك المصابيح مصباحان كبيران مضاءان أمام المذبح ، مصنوعان من زجاج ملون ، جلبها المسلمون من مكة [١٣٥].

وأشار الى ان مساجد المسلمين تخلو من أي صور وتماثيل معزياً ذلك الى تحريمها من قبل المسلمين قائلاً " لا توجد في مساجدهم أية صور وتماثيل ، التي تحرمها شريعة محمد " [١٣٦]،والجدير بالملاحظة انه هنا يقرن الشريعة بالرسول محمد (ص) ويعبر عنها بشريعته في أشارة واضحة الى طعنه برسالته معتبرا الشريعة شريعته وليس شريعة الله تعالى، ثم يعقد مقارنة بين الأديان السماوية الثلاثة كما هو حاله في رحلته اذ يحاول دائماً المقارنة بين الديانتين المسيحية والإسلامية لكن هذه المرة أشرك الديانة اليهودية معهما فبعد ان ذكر تحريم الإسلام للتماثيل والصور أردف قائلاً " كما حرمتها الشريعة الموسوية" [١٣٧]، في إشارة منه الى تحريم اليهودية للصور والتماثيل ، ثم ذكر توافق حكم المسيحيين الايجابي بالنسبة لإباحتهم للرسم ونحت التماثيل معللاً ذلك بأنه بمثابة الكتابة الدينية ومتحدثاً عن نفسه وأبناء دينه " نحن نبيح الصور والرسوم ، لأنها تكون مثل الكتابات الدينية "[١٣٨].

ويظهر من خلال مشاهدات مونزر حول المساجد ان المسلمين يعتنون اعتناء كبيرا بمساجدهم ونظافتها بحسب ما أملى عليهم دينهم من الاهتمام بالنظافة اذ توجد منشآت صحية متكاملة بالقرب من المساجد ابتداء من أماكن الوضوء وحتى المرافق الصحية اذ انه عند حديثة عن مسجد غرناطة الأعظم ذكر هذه المنشأة بقوله :-" خارج هذا المسجد يوجد بناء في وسطه حوض طويل جداً من الرخام طوله عشرون خطوة ، يغتسل فيه المسلمون قبل دخول المسجد ، حول البناء توجد مبانٍ صغيرة مزودة بأنابيب لصرف المياه ، كانت لها فتحة على سطح الأرض في طول ذراع وعرض شبر يمضي الماء الجاري تحتها ، يوجد كذلك حوض صغير للتبول. كل هذا شيد بعناية ودقة مما يثير الإعجاب ويوجد ايضا بئر جميل لماء الشرب "[١٣٩].بقي ان نذكر ان مبانيَ بتلك الفخامة وتلك الإمكانيات الكبيرة في الإتقان قد أثارت تساؤلاً غير مباشر من قبل مونزر وهو طريقة تمويل هذه المساجد ، وكيفية الانفاق عليها ، فذكر انه يتم الإنفاق عليها من أوقاف تلك الساجد اذ انه عبَّر عن تلك النفقات بانها نفقات "غير عادية"[١٤٠] لكثرة الإنفاق على المساجد. وذكر هذا اولاً بخصوص مسجد المرية السالف الذكر، وما أوقف له من أراضٍ زراعية خُصّص ريعها للإنفاق على المسجد ويفهم من خلال كلامه هذا ان المسجد بعد ان حولَ الى كنيسة صادر الأسبان الأراضي الوقفية التابعة له ايضا . فصارت إيرادات المسجد بالأمس إيرادات للكنيسة اليوم وحدَّد مقدار تلك الإيرادات وعائديتها بقوله " على عهد المسلمين كان له [مسجد المرية] إيراد سنوي من ممتلكاته من الحقول والبساتين ، يبلغ ستاً وستين الف دوقة ، الان أصبحت بالكامل للكنيسة "[١٤١] ثم ذكر ان هناك مساجد ايضا تُجمع إيراداتها - بعد ان حولت الى كنائس – لصالح الأسقف قائلاً حول هذا الموضوع " بالمرية ايضا مساجد أخرى كثيرة صغيرة التي إيراداتها بالكامل ، يحصلها الان الأسقف والاكليروس كما تجمع إيرادات الكاتدرائية "[١٤٢].

رابعاً : النشاط الاقتصادي

يعد حكم المسلمين للأندلس طول ثمانية قرون نقطة تحول بتاريخ اسبانيا لاسيما الاقتصادي منه ، اذ عُرف عن العرب بحضارتهم المتقدمة أنهم استطاعوا الانتقال باسبانيا من عصر التخلف والانحطاط الى عصر الحضارة والرقي فكانت الأندلس الإسلامية بوابة أوربا الاقتصادية اذ مثلت صادراتها مصدراً مهماً لأوربا في ذلك الوقت ولأهل الأندلس بكل مكوناتهم الدينية . ومثلت الزراعة واحدة من أهم ما اشتهر به العرب فيها، اذ ادخلوا بعض المحاصيل الزراعية التي لم يكن يعرفها الاسبان من النصارى مثل القطن وقصب السكر الحمضيات والليمون والبطيخ وغيرها [١٤٣]. واهتموا بالموارد المائية ونظموا عملية السقي بأسلوب مبتكر أعجب به الأسبان. ولاحظ مونزر بعضاً من النشاط الاقتصادي الذي مارسه المسلمون في اسبانيا وطبقاتهم الاقتصادية وسجل إعجابه بهم على الرغم من انه دائم الانتقاص منهم مركزاً على إبراز فضل

الأسبان في كل المجالات فعند مروره بحصن (Ginestar (Genser الذي يقع على شاطئ نهر ايبرو Ebro في أكتوبر من سنة ١٤٩٤م شاهد على ضفتي النهر " قرى كثيرة للمسلمين الذين كان الأمراء يعاملونهم معاملة طيبة ، لأنهم كانوا عمالاً نشطين في الزراعة "[١٤٤]. وهو بالفعل ما اشتهر عن الفلاحين المسلمين ، اذ كان غنى أصحاب الأرض يتوقف على ان تكون الأرض يعمل فيها المسلمون. اذ انتشر مثل اسباني في هذا المجال " من ليس لديه مسلمون ، ليس لديه ذهب"[١٤٥].

وفي غرناطة التي تشتهر بالبساتين الكثيرة تجده يقف موقف المتعجب والمتحير من جمالها نفى ان يكون هناك بساتين بجمالها . وهو على عكس ما نراه في باقي رحلته اذ عندما يشير الى جانب من مشاهداته في اسبانيا نراه يقارنه مع ما رآه ببقية البلاد الأوربية الاخرى لاسيما ايطاليا ،ثم نراه بعد ذلك يثني ثناءً كثيراً على تنسيق الحدائق التي اعتنى بها المسلمون اذ قال متعجباً " أوه يالجمال هذه الحدائق عندما كانت تحت أيدي المسلمين الذين كانوا ماهرين في تنسيق البساتين والفاكهة"[١٤٦].

وفي إشارة منه الى أفضلية المسلمين المطلقة ومهارتهم في الزراعة عمن سواهم قال:- " تأملت هذه البساتين التي لا توجد اكثر منها جمالاً كان المسلمون عاشقين جداً للبساتين ، كما كانوا ماهرين في زراعتها وريها ، حتى انه لا يوجد أفضل منها "[١٤٧]. وذكر ان يوجد خارج أسوار الحمراء "على قمة الجبل يمتلك الملك بستاناً فاخراً وشهيراً حقا ، به نافورات وأحواض ، وجداول جميلة ، من إنشاء المسلمين ، ولا يوجد أجمل منها "[١٤٨].

وقد اشتهر المسلمون الأندلسيون بزراعة العنب([١٤٩]) ، وكان العنب يعد من أشهر صادراتهم في ذلك الوقت ، "وكانت السفن المحملة بالزبيب المجفف والمعد إعدادا طيباً بواسطة المسلمين تبحر الى أوربا حتى انجلترا ،وفرنسا والمانيا وايطاليا دول اخرى "[١٥٠].

وفي مدينة لقنت Alicante لاحظ مونزر انها كانت تنتج "زبيب العنب في واد على الساحل مأهول بالمسلمين ، بكميات كبيرة ، ينتج منه في كل عام من عشرة الى خمسة عشر الف ثنتناريو Centenarios ويصدر الى كل دول اوربا "[١٥١] ، ثم يعقب " ينتج زبيب العنب في أماكن أخرى بين بلنسية ولقنت ، لكن زبيب لقنت كان الأكثر شهرة "[١٥٢].

واشتهرت ايضا غرناطة بانتاج العنب اذ كان أهلها" يعدون كميات كبيرة من زبيب العنب"[١٥٣]. وقد شرح مونزر طريقة عمل الزبيب بحسب ما شاهده في مدينة لقنت اذ قال" يعدون الزبيب بالطريقة الآتية في أغسطس ، عندما تكون عناقيد العنب قد نضجت ، يعد المسلمون ماء ساخناً لعناقيد الكرم والشجيرات الاخرى ، حيث يتركونه فيها لمدة ثمانية أيام ،وفي النهاية ، يقومون بغليه في غلاية كبيرة وبواسطة مصفاة كبيرة من الحديد المثقوب يضعون العناقيد في الماء المغلي ، كل العنب الفاسد يسحب بواسطة هذا الماء ولا يبقى في العنقود ثم يخرجونها ويضعونها لتجف في الشمس لمدة ثمانية أو عشرة أيام على حصيرة من الاسل ،وأخيرا يضعون العنب في انيه أو سلال من الحلفاء ، وبذلك يكون قد أعد للبيع "[١٥٤] .

اما معاصر الزيت المنتشرة في اسبانيا فقد شاهد احداها مونزر في ربض المسلمين في مدينة سرقسطة، اذ وصفها قائلاً " في ربض المسلمين توجد معصرة فخمة وضخمة للزيت ، انه عمل هائل ، يمارسونه بهذه الطريقة : لديهم رحى كبيرة يجرها حصان أو بغل في دورات عاصرة الزيتون ، كما يفعلون مع الاسليخ La Gualda في إرفورت Erfurt . بعد ان يجمعوا عشرة او اثنتي عشرة سلة من الحلفا ، المملوءة بالزيتون ، يضعون الواحدة فوق الاخرى أسفل المعصرة ، يعصرونه ، ويضيفون اليه باستمرار ماء ساخناً ، الذي ينظف الزيت ، الذي يصب في اناء معلق تحت المعصرة ، انه عمل الدواب"[١٥٥].

وترتب على اشتغال المسلمون بالفلاحة دفع الضريبة للأسبان ، وقد أشار مونزر في اكثر من مكان الى ان المسلمين كانوا يدفعون ضرائبهم باستمرار وانتظام وبكثرة اذ ذكر ذلك قائلاً " ويحصلون منهم [أي الأسبان] على ضرائب كثيرة"[١٥٦]. والملاحظ ان هذه الضريبة قد شملت

جميع المسلمين بدون استثناء وهو ما ذكره مونزر بقوله " وكل المسلمين يدفعون الضريبة الى سادتهم "(١٥٧).
ويبدو ان الأسبان كانوا يعولون على تلك الضريبة اذ ان المسلمين كانوا ماهرين بالزراعة وترتب على ذلك وفرة بالمحاصيل الزراعية التي يحصل منها الأسبان على ضرائبهم التي تصل الى ربع المحصول ، ولاحظ مونزر هذه الحالة في اراغوان قائلاً " فان مملكة اراجون بها الكثير من المسلمين أنهم نشيطون جداً في فلاحة الأرض ، النبلاء يحصلون منهم على ضرائب عالية ، عبارة عن ربع المحصول غير المغارم الاخرى"(١٥٨). جاءت تلك الخبرة لدى المسلمين في زراعة الأرض نتيجة لاهتمامهم الكبير بالأراضي الزراعية اذ كانت تعد المصدر الرئيس في معيشتهم طوال ثمانية قرون من زراعة الأراضي في اسبانيا وايضا اهتمامهم الكبير بتنيظم قنوات الري ويقال " إن أساليب الري في اسبانيا الإسلامية قد انتشرت ووصلت الى روسيون[١٥٩] في منتصف العصور الوسطى"(١٦٠) وبالجملة فإن " نظام الري صغيره وكبيره لا يزال يحمل في منشآته وفي اللغة القشتالية طابع العهد الإسلامي"(١٦١)، وعلى هذا الأساس فقد بنى الأسبان قنوات ريهم على نمط قنوات الري الإسلامية ، اذ شاهد مونزر ان الأسبان قد بنوا ثلاثة أديرة قائلاً " اعطاهم الملك موقعاً مناسباً في المدينة ، به بيوتات جميلة وحدائق رائعة ومجار مائية وقنوات ، كلها على النمط الإسلامي ، القسم الأكبر من هذه البيوت كانت له آبار وقنوات للماء العذب ، وأحواض من الحجر والجص والمواد الاخرى للسباحة ، فان المسلمين ماهرون جداً في إنشاء المجاري المائية"(١٦٢).

خامساً : الجانب العمراني

أكثر ما لوحظ على العرب أثناء وجودهم في الأندلس هو اهتمامهم الكبير بالجانب العمراني فقد انشؤوا الحصون والقلاع لطبيعية حياتهم التي عاشوها جنبا الى جنب مع عدوهم الاسباني ، وبنوا كذلك قصورهم التي عُدت في ذلك الوقت ضرب من الجمال بالنسبة لجيرانهم الأوربيين ، التي اهتموا بها وزخرفوها بما ينسجم مع حضارتهم الراقية آنذاك ، اذ لاحظ مونزر في رحلته ولاسيما بعد وصوله الى مدينة المرية في الثامن عشر في أكتوبر عام ١٤٩٤م ان كل ما يوجد في هذه المدينة هو مدعاة لداعيات اذ يقول حول ذلك " وعندما اقتربنا من المدينة مضينا نتأمل بساتينها الجميلة ،واسوارها ، ومهاماتها ، وأبراجها ، وقنواتها المنشأة على النمط الإسلامي ،التي لا يوجد أجمل منها"(١٦٣).
وكذلك اهتم المسلمون بقلاعهم وابراجهم وأسوار مدنهم(١٦٤) اذ لاحظ مونزر أنها أسوار كانت مبنية بإحكام لاسيما أسوار مدينة طليطلة قائلاً " يا لها من أسوار قوية جداً ، من إنشاء المسلمين ، وكم هي حصينة بالطبيعة والفن"(١٦٥). وكذلك أعجب بأسوار سرقسطة اشد الإعجاب اذ نراه يقول فيها " أسوار المدينة حصينة وفي غاية المناعة ، مبنية من الأحجار والطين ، تثير الدهشة ، أسسها المسلمون في عصرهم"(١٦٦) .
أما القصور التي شاهدها مونزر في رحلته فهي أولاً تحفة المسلمين في الأندلس وأعجوبة الدنيا في ذلك الوقت؛ قصر الحمراء الذين وصفه بإسهاب كأنما يصف قصراً من الجنة قائلاً: " رأينا هناك قصوراً لا تعد ، أرضها مغطاة بالرخام الناصع البياض، وحدائق غناء تزينها أشجار الليمون والرياحين ، وحوض ماء ، وأسرة من الرخام على الجوانب ، وأربع عشرة غرفة مليئة بالسلاح ، مثل الرماح ، والأقواس ،والسيوف ، والدروع والسهام ، غرف نوم فاخرة وحجرات ، في كل قصر، أحواض كثيرة من الرخام الناصع الأبيض ، الكثير منها كان اكبر من التي توجد من مقربة من سان اوجستين، تفيض بالمياه ، غرفة حمام مقببة فخمة جداً- أوه لا يوجد أجمل منها في وسط أحد الأبهاء حوض كبير من الرخام، يستند على ثلاثة عشر اسداً منحوتة أيضا من رخام ناصع البياض، تمج المياه من أفواها عن طريق الانابيب . توجد لوحات كثيرة من الرخام طولها خمسة عشر قدماً وعرضها سبع أو ثمان ،وأخرى مربعة ، من عشرة أو احد عشر قدماً لا اعتقد انه يوجد شي مثل ذلك في كل اوربا"(١٦٧) .

ونراه بعد ذلك يفصّل الكثير من معالم هذه القصور التي وقف منها موقف المتعجب لم يرَ في كل أوربا نظيراً لتلك القصور حسب ما أورده هنا غير انه في النص المتقدم يتكلم عن ثلاثة عشر أسدا في فناء الأسود مع ان المعروف والمشهور والموجود هو اثنا عشر أسدا وليس كما ذكر ، وهو ما وقع فيه من أخطاء في هذا الموضوع، والكلام عن قصر الحمراء كلام كثير نكتفي بما أوردنا في أعلاه.

أما عن قصر اشبيلية الذي أُنشئ على يد الملك الفونسو Alfouso العاشر أو العالم فقد ذكره قائلاً:- " هذا القصر هائل ولا يقل في اتساعه عن قلعة الحمراء. أسس على نفس النمط بأفنيته وغرفة، وحجراته ومعارف مياهه مزين بالذهب والعاج والرخام الجيد"(١٦٨)، وهذا القصر هو في الأساس قصر المعتمد بن عباد(١٦٩)، وسع وبني من قبل ملوك الأسبان، الذي عرف بالكازار Alcazar الذي كان المدجنون أساساً في بنائه(١٧٠).

وكذلك فقد شاهد مونزر قلعة وحصن سرقسطة " قلعة حصينه وقديمة أقامها المسلمون ، أصلحها وجددها حالياً الملك فرناندو "(١٧١)

وكان مما شاهده مونزر في رحلته تلك" مستشفى البهاق وبيت المهد وبيت المجانين ، التي كان المسلمون قد أقاموها"(١٧٢) ، والأندلسيون والمغاربة يستعملون كلمة بيمارستان للأمراض العصبية فقط(١٧٣). والبيمارستان كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض (وستان) بمعنى مكان أو دار المرضى ، ثم اختصرت(١٧٤). في الاستعمال فصارت بيمارستان ، وهو ما شاع بالأندلس بهذا المفهوم اذ ان البيمارستان الموجود في غرناطة كان للأمراض العصبية، والعرب كانوا اصحاب الفضل في إدخال المستشفى الى اسبانيا وفيما بعد اخذ هولاء الأسبان فكرة بناء المستشفيات من العرب(١٧٥).

سادساً : الأحوال السياسية

عاشت شبة الجزيرة ايبريا تحت سيطرة المسلمين زهاء ثمانية قرون وطول تلك الفترة كانت الأراضي الإسلامية في تناقص مستمر نتيجة لنشاط حركة (الاسترداد) من قبل الأسبان وصولاً الى ان انتهت الأندلس الى حدود ما يسمى الأندلس الصغرى وظهور سلطنة غرناطة التي لم تستمر أكثر من مائتين وخمسين سنة، جرى في أواخر أيام حكم ملوكها تسلمها عن طريق السلطان أبي عبد الله الصغير بموجب معاهدة عقدها مع ملكي اسبانيا فرنادو وايزابيلا. في البداية ذكر لنا مونزر أحداث تلك الفترة حسب معاصرين لها اذ ذكر ان فرناندو عمل على انتزاع غرناطة بشتى الطرق اذ تمكن " في خلال عشرة أعوام من إخضاع كل غرناطة ، قسم منها بالقوة، والقسم الآخر بالاستسلام وقسم بالاتفاقيات ، وقسم بالذهب والفضة التي رشا بها كثيراً من حكام القلاع المسلمين ، بطريقة جعلتهم يسلمونها اليه ، ويفرون الى المغرب"(١٧٦).وبعد ذلك ذكر مأساة هؤلاء وما جرى عليهم اذ ان الأسبان " بدأوا في قطع الإمدادات عنهم ، فماتوا في الطريق نتيجة للجوع الشديد"(١٧٧). وكانت خطة ملك قشتالة تقضي باحتلال المدن والقرى القريبة من غرناطة كبداية لإسقاطها اذ شرح لهم كيفية ذلك بقوله: " استدعى ملك قشتالة اليه النبلاء والأمراء ،ووضع على الأرض بساطاً ،ووضع في وسطه صينية من الفضة قد ملئت ذهباً ، قائلاً من يتمكن من الوصول لى الصينية دون ان يطأ البساط ، أعطيته ما تحويه من ذهب ، ولما لم يتمكن احد من ان يفعل ما عرضه الملك بدأ الملك في طي البساط قليلاً قليلاً ، ودفع بالصينية خارج البساط ، واخذ الذهب ، وقال المدن القريبة والضواحي تكون البساط وغرناطة هي الصينية التي يوجد بها الذهب ومضى ملك قشتالة في الاستيلاء على تلك المدن ، وأخيرا سقطت غرناطة بين يديه"(١٧٨).وقد ذكر مونزر الكثير من التفاصيل حول احتلاله لغرناطة نتجنب ذكرها لطولها ونكتفي بان جهود ملك اسبانيا قد تكللت بالنصر دخل غرناطة منتصراً في ٦ يناير من عام ١٤٩٢م بعد حصار طويل ذكره مونز باختصار قائلاً:- " بعد ان اشتد الحصار على غرناطة من شهر مايو حتى أول يناير ، أنهكهم الجوع ، حتى صاروا يأكلون البغال والكلاب ،والخيل والفئران والحيوانات الأخرى، أخيراً وفي اليوم السادس من

ينـاير مـن عـام ١٤٩٢م دخـل الملك فرنـادو منتصـراً وأُعلـن ملكـاً علـى غرناطـة"[١٧٩]. غيـر ان مجموعة من المسلمين لـم تستسلم وحاولـت الانقضـاض علـى الملك وجيشـه الا أن تلك المحاولـة باءت بالفشل ، اذ يذكر مـونزر انـه " وعند الفجر قامت جماعـة مـن اكثر من مـائتي ألف مسلم بمحاولة لصد الجيش الملكي الذي لم يكن تعداده عندئذ يتعدى أربعين ألف رجل ، لكن أفول القمر غير المتوقع اعتبره المسلمون فألاً سيئاً ، الى جانب انخفاض روحهم المعنوية ، فعـادوا القهقري وانتهى الأمر بالاستسلام"[١٨٠] .

ويبدو ان عدد المسلمين فيه نـوع من المبالغة مـن قبل مـونزر أو مـن روى عنـه فـي محاولـة لإظهار مدى قوة الأسبان أو التسديد الإلهـي لانتصـارهم . وقـام الأسبان مـن اجل التشديد علـى المسلمين عند حصارهم لغرناطـة أكثر وأكثر ببنـاء مدينـة تقابل غرناطـة [١٨١] أسموها سانتافي santa fe أي الإيمان المقدس [١٨٢] وبناء هذا المدينة مـا هو إلا إتبـاع سياسـة عربيـة إسلامية فـي مثل هذه الظروف . وأشـار مـونزر كذلك الـى الهجوم " علـى الحامـة ، وطـرد منهـا المسلمين ،واستولى عليها"[١٨٣].

وكذلك فقد ذكر سقوط قلعة موكلين El Castillo de Moclin اذ ذكر ان الجانب الاسباني قد استخدم القذائف النارية في هذه المعركة مشيراً الـى فرنانـدو ومهاجمـة هذه القلعـة قـائلاً: " هـاجم قلعة موكلين بمجموعة كبيرة من الرجال ومن المحاربين الماهرين ونجحوا فـي تحطيم أسوارها بالكبش والمنجنيق وبمهراس، حيث القوا علـى بـرج عـالٍ ٍ ٍ ٍ صـخرة ضـخمة مليئـة بمسحوق. ستة عشر رجلاًً من المسلمين جاءوا مع ضوء الفجر الـى المكـان الـذي سقطت فيـه الصـخرة ، لكن أصابهم الرعب عند رؤيـة القذيفة والمسحوق يغطـي الأرض ، وعنـدما ألقيت شعلة فوقهم أحـدثت انفجـاراً كبيـراً أحـرق المسـلمين الـذين قـاموا بتسـليم الحصـن الـى الملـك. وعندئذ أدرك المسلمون إنهم قد وصلوا الـى نهايـة المطـاف بخصـوص ممتلكـاتهم فـي أوربـا ، لأنهم قد فقدوا الأمان"[١٨٤].على ان هذا السلاح كان العرب قد سبق به الأسبان اذ استخدمه المسلمون في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي فـي معركـة قريـة اشكر[١٨٥]، سنة (٧٢٤هـ / ١٣٢٤م) حتى ذكره ابن الخطيب فيما بعد اذ قال " ورمى بالآلة العظمى المتخذة بـالنفط ،كره محمـاة طاقـة البرج المنيع من معقله فعاثت عيـاث الصـواعق السماوية"[١٨٦]. وقد ذكر مـونزر ان فـي قصـر الحمراء " يوجد خمسمائة فـارس ، يسمون زناتـة Jinetes ، يمتطـون خيـولاً أصيلة ، وينتمون الى نظام الكونت ويقدمون له الطاعة"[١٨٧].

وقد نقل العبادي نص مـن المؤرخ الاسباني ايـالا Ayala المعاصـر لابـن الخطيب قولـه ان ملوك قشتالة اتخذوا فرقـا خاصـة مـن الفرسـان يحـاربون علـى طريقـة الزنـاتين الحقيقيـة الحركـة وكانوا يعرفون باسم Jinetes ويلاحظ ان هذا الاسم مشتق من لفظ Zente أي زنانـة[١٨٨] وقد اقتبس الأسبان هذا الفن الحربي اضطراراً منهم لنجاعة هذه الطريقة في الحرب ، وهو يقوم على سرعة الحركة، سرعة الكر والفر[١٨٩].

وذكر مونزر الأحداث المتسارعة بعد ذلك وبعد" مرور أربعة أشـهر منذ ذلـك فـي شـهر يونيـو تآمر- سراً- أربعون الفاً أرادوا قتل المسيحيين عن آخرهم ، واكتشفت هذه المؤامرة بسبب وشاية احد المسلمين واكتشفت هذه المؤامرة وكـان قد سمح للمسلمين بـان يحيـوا حيـاة حـرة ويمارسـوا شعائرهم لمدة ثلاث سنوات ، فان هذه المدة انتهت في يناير.وشيئاً فشيئاً تم القضـاء علـى مقاومـة المسلمين ، حتى تخلصوا منهم جميعاً وسُكنت المدن الكبرى والضواحي بالمسيحيين"[١٩٠].

وتحدث ايضاً عن محاولات بعض المسلمين لاغتيال ملك الأسبان كرد فعل على ما قام به مـن جرائم بحقهم الا ان منفذ هذه العملية التبس عليه الأمـر اذ قـام باغتيـال شـخص غيـره اذ قـال ان " احد المسلمين الذي غادر مالقة ،ودخل في صفوف الملك ، وقـام بطعن دون الفـارو دي برتغـال طعنـة كبيـرة ، ظنـاً منـه انـه الملك . وكـان دون الفـارو قد ارتـد عن دينـه فـي مدريـد ،وأمـر أخـاه فرنادو بذبح ملك البرتغال. المسلم مُزّق اربا صغيرة على يد المسيحيين"[١٩١]. وترتب علـى ذلك سقوط الدولة الإسلامية في الأندلس ان عُذّب المسلمون وأُسر آخرون، وهاجرت مجموعـات أخرى الى خارج الحدود وتحديداً الى الشمل الإفريقي . اذ يذكر مـونزر ان ملك الأسبان كـان قد

عفا عن المسلمين من القتل واكتفى ببيعهم كأسرى قائلاً " عندما افتتح المسلمون مدينة مالقه ، منذ نحو سبعمائة عام ، قاموا بقتل المسيحيين حتى آخرهم ، اقسم الملك ان يصنع في المسلمين نفس هذا العمل ، لكن رحمته وإنسانيته منعته من ذلك ، وقرر بيعهم كأسرى"(١٩٢). وواضح على مونزر الانحياز التام للجانب الاسباني في ذكر تلك الأحداث التي تقلل من شان المسلمين وإنسانيتهم ، وترفع من شان الأسبان وإنسانيتهم.

ثم ان الملك أمر بعد ذلك بذبح كل المسلمين نتيجة لحادثة ذكرها مونزر لا نعلم مدى صحتها قائلاً :" توجد قلعة استولى عليها الملك عنوة ، تقع في وادٍ جيد السقيا ، على بعد عدة فراسخ من مالقة ،ولما طلب الملك الأسرى ، الذين كان المسلمون قد أودعوهم السجون من قبل. لم يقدم لـه المسلمون غير جثثهم. فأمر الملك بقتل كل المسلمين. وقبل ذلك كان الملك عندما يحاصر إحدى المدن ، يأمر بعدم قتل الأسرى ولكنه بعد هذا الأمر كان يأمر بذبحهم جميعاً، عندما يدخل منتصراً وكان المسلمون الخائفون يصيحون نسمع صوت النواقيس والأجراس"(١٩٣).غير ان هذه المعاملة للمسلمين قد تغيرت على ما يبدو، اذ ذكر مونزر ان الملك منح الأسرى حق اللجوء الى غرناطة قائلاً " ثم وصلنا في اليوم الثالث الى أوسونا (Usuna (Ursana مدينة ماركيز قادس. رأينا هناك أكثر من ثلاثمائة مسلم مكبلين في الأصفاد. كذلك كانت مرشانة (Marechena) Marchenaوميرينا (Mairena (Mairena وهي قلاع قوية لنفس الماركيز ، مليئة بالأسرى ... منح الملك الأسرى حق اللجوء الى غرناطة التي استولى عليها منذ ثلاث سنوات ، حاصلين على حريتهم لهذا كان المسيحيون يراقبون الحدود بحذر شديد لمراقبة الأسرى الذين تحرروا من أسرهم ،وكانوا يتجهون الى غرناطة طلباً للحرية (١٩٤). وواضح من النص أعلاه ان غرناطة أصبحت مأوى للمسلمين الذين كانوا يبحثون عن حريتهم. وفي مالقة اختلف الأمر كليا مع المسلمين اذ ان الملك بعد حصاره لها عمل مذبحة باهلها، وباع آخرين حسب ما ذكره مونزر اذ ان الملك حاصرها لمدة " ثلاثة شهور كاملة اتخذ موقعا بين الأرض والبحر، ومنع عنها كل الإمدادات فقل فيها الطعام حتى ان حارس السور كان يُعطى أوقيتين من الخبز في اليوم واضطر الفقراء الى عمل خبز من نشارة الخشب وقشر النخيل، عندما تكون أطرافها لينة، وأخيرا خرج خمسة آلاف مسلم مع نسائهم ، عبر شاطئ البحر ، في طريق الجبال البحرية الشمالية ، التي تضررت كثيراً منهم ، لكن جيش الملك فرناندو تصدى لهم ومنعهم ، وقتل الكثير منهم ، ومنع الآخرين من الهرب الى المدينة . وفي النهاية استسلموا للملك الذي باع خمسة آلاف رجل منهم مقابل ثلاثين دوقة لكل واحد، وكان أي واحد منهم يمكنه ان يفتدي نفسه مقابل ثلاثين دوقه أخرى"(١٩٥) في إشارة منه الى غنى هولاء الأسرى المسلمين. ونتيجة لتلك الأحداث المتسارعة التي صبّت الويلات على المسلمين ، فان المسلمين بعد معاهدة الاستسلام وخسارتهم مملكتهم الإسلامية أصبحوا ما بين أسير وقتيل، وآخرين فروا الى المغرب العربي مع ملكهم الصغير بحسب ما ذكر مونزر قائلاً " بعد الاستيلاء على غرناطة ،وأخضعوها للمسيحيين اكثر من أربعين الف رجل من المسلمين عبروا الى المغرب مع مليكهم وهلك ايضا كثيراً منهم من الجوع في فترة الحصار ، واضطر آخرون الى الفرار"(١٩٦)، غير ان عدداً كبيراً من هؤلاء المسلمين بقي في غرناطة وذكر مونزر ذلك قائلاً: " بقي عدد كبير في غرناطة "(١٩٧).

وبعد ان أطلق الأسبان بعض أسراهم من المسلمين كان هؤلاء يعيشون أوضاع اقتصادية صعبة جداً اذ ذكر مونزر ان هولاء التجأوا الى الكدية بجوار مساجد المسلمين اذ ذكر انه "يوجد كثير من المسلمين يطلبون الإحسان الذين كانوا أسرى للمسيحيين والآن أطلق سراحهم"(١٩٨). وكانوا عادة يطلبون الإحسان أمام مساجد المسلمين ولاسيما في أيام الجمع حيث تزدحم تلك المساجد بالمصلين(١٩٩)

النتائج

١. استمرار المسلمين في ممارسة طقوسهم الدينية ومعتقداتهم دون ان يتعرض لهم الأسبان .
٢. الحياة العامة للمسلمين من عادات وتقاليد اجتماعية كانت امتداد لزمن المسلمين أثناء حكمهم للأندلس ، ولم تتغير .
٣. تحويل بعض المساجد الى كنائس ، واحتفاظ المسلمين بالبعض الأخر.
٤. إعجاب مونزر الكبير بالمباني والمنشات الإسلامية ومقارنتها بباقي البلدان الأوربية ولاسيما المانيا وتفوق المسلمين في هذا المضمار .
٥. لم يقم الأسبان بهدم الحمامات العامة بالرغم من نظرتهم السلبية تجاه الحمامات والنظافة باعتبارها عادات وثنية .
٦. عدم إنصاف المؤلف للمسلمين في رحلته وثناه المتكرر على المسلمين على طول الرحلة .
٧. أمدتنا الرحلة بمعلومات مهمة حول أماكن تواجد المسلمين في شبة جزيرة أيبيريا ، وكثافتهم السكانية في كل مدينة يزورها مونزر ، وحسب تواجدهم هناك.
٨. أشار مونزر الى الروح الثورية عند الموريسكيين وتحينهم للفرصة كلما سمحت لهم الظروف بالثورة .
٩. أشار مونزر بفخر الى ما يقوم به الأسبان من مذابح بحق المسلمين.
١٠. وقع الرّحالة باخطاء يتعلق بعضها باحكام الشريعة الاسلامية ، نتيجة لجهلة بالتشريعات الإسلامية.
١١. تعكس الرحلة صور من الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للموريسكيين.
١٢. تاثر الاسبان بحضارة العرب وهو ماذكره مونزر بصورة غير مباشرة في رحلتة .

هوامش البحث

[1] مونزر، خيرونيمو، رحلة الى اسبانيا والبرتغال ١٤٩٤- ١٤٩٥م، تعريب أحمد محمد الطوخي، مركز الاسكندرية للكتاب، (مصر، ٢٠١٠م) مقدمة المعرب.

[2] مونزر، رحلة الىاسبانيا والبرتغال ، ص٢٠٦.

[3] احمد بن محمد بن احمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٣٢م)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، ١٩٨٨م)،ج ١،ص٢٢٣.

[4] مونزر ، رحلة الى اسبانيا والبرتغال ، ص١١٤.

[5] المصدر نفسه ،ص١١٤،

[6] عيد العنصرة:- يوم مشهور ببلاد الأندلس، وهو موسم للنصارى كالميلاد ونحوه، وهو اليوم الرابع والعشرون من حزيران فيه ولد يحيى بن زكريا عليه السلام. ينظر حول ذلك ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم، (ت٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، بلات)، ج٧، ص٢٢٧

[7] سحر، عبد العزيز سالم، ملابس الرجال في العصر الإسلامي ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، ع ٢٧،(مدريد،١٩٩٥م) ، ص ١٧٢.

[8] ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، (٥٤٢هـ / ١١٤٧م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، (تونس ، ١٩٧٩) ،ج١، ص٥٠٦.

[9] ابن دحية ،ابو الخطاب عمر بن حسن ،ت(٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م) ،المطرب في أشعار أهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابياري واخرون ، دار العلم للجميع ، (بيروت ،١٩٥٥م)، ص ٨١

[10] مونزر ، رحلة الى اسبانيا والبرتغال ، ص٩

[11] علي بن عبد الغني الحصري، أبو الحسن. شاعر مشهور، له القصيدة التي مطلعها: يا ليل الصب متى غده كان ضريراً، من أهل القيروان، انتقل إلى الأندلس ومات في طنجة. اتصل ببعض الملوك ومدح المعتمد بن عباد بقصائد توفي سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥ م .ينظر ترجمته ، الاصبهاني، محمد بن محمد صفي الدين ،ت،(٥٩٧هـ/ ١٢٠٠ م)، خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء المغرب والأندلس ، تحقيق أذرتاش أذرنوش ، الدار التونسية للنشر ،(تونس،١٩٧١م)،ج٢،ص ١٦٣.

[12] ابن دحية ، المطرب في أشعار أهل المغرب ،ص ٨١ .

[13] مونزر ، رحلة إلى اسبانيا والبرتغال ، ص١١٤.

[14] عزيز بن خطاب :- هو عزيز بن عبد الملك بن خطاب القيسي، سرقسطي الأصل ، كان زاهداً عابداً ناشراً للعلم ، حتى امتحن برياسة مرسية فلم تحمد سيرته، قتل سنة ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م . ينظر، المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد،(٦٣٤ - ٧٠٣ هـ / ١٢٣٧ – ١٣٠٣م)، الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ، (لبنان،١٩٦٥م)، ج٥ ، ص١٤٤.

[15] المقري، نفح الطيب ، ج٣، ص٢٢٢.

[16] المصدر نفسه ،ج٣، ص ٢٢٣.

[17] المصدر نفسه ،ج٣، ص ٢٢٣.

[18] محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي، ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م،الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط ١، ، مكتبة الخانجي ،(القاهرة ،١٩٧٣م) ،ج١، ص٢٢٦؛اللمحة البدرية في الدولة النصرانية، تحقيق، محمد مسعود جبران، دار المدار ألإسلامي، (بيروت ، ٢٠٠٩م)، ص ٦٤.

[19] رحلة الى اسبانيا والبرتغال ، ص١١٤.

[20] نفح الطيب ،ج٤، ص١٧.

[21] رحلة الى اسبانيا والبرتغال ، ص١١٥.

[22] رينهارت ، المعجم المفصَّل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة، أكرم فاضل، دار الحرية للطباعة، (بغداد ،١٩٧١م).ص ١٦٩و ١٧٢.

[23] المرجع نفسه ،ص ١٦٩.

[24] احمد بن محمد المراكشي،(ت بعد سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م)،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال ، ط٢، مكتبة الثقافة ،(بيروت ، ١٩٨٠م).

[25] رحلة الى اسبانيا والبرتغال ، ص١١٥.

[26] دوزي ، المعجم المفصل ، ص ٣٠٠.

[27] نفخ الطيب ،ج٤،ص ١٢٤.

[28] ابن عذاري البيان المغربي ج٣، ص ١٣٩ .

(٢٩) رحلة الى اسبانيا والبرتغال ، ص١١٥.
(٣٠) خطرة الطيف، رحلات في المغرب والأندلس، تحقيق، احمد مختار العبادي ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (الامارت ، بيروت، ٢٠٠٣م). ص٥٠.
(٣١) المصدر نفسه ، ص ٥٦ .
(٣٢) ابن بسام ،الذخيرة ، ج١ ، ص٧٠٨ .
(٣٣) الإحاطة، ج٣ ، ص٩٢ .
(٣٤) مسعد، سامية مصطفى، صور من المجتمع الأندلسي رؤية ٢٠٠٩م من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،(مصر،)،ص ٨٧.
(٣٥) مونزر ، رحلة الى اسبانيا والبرتغال ، ص١١٥
(٣٦) الحميري ، محمد بن المنعم بن محمد،(ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق إحسان عباس،ط٢، مكتبة لبنان ،(بيروت ، ١٩٨٤م) ، ص٤٥ .
(٣٧) مونزر ، رحلة الى اسبانيا والبرتغال ، ص ٩٣.
(٣٨) المصدر نفسه ،ص٩٤.
(٣٩) المصدر نفسه ، ص ٩٤.
(٤٠) المصدر نفسه ، ص ١١٥.
(٤١) المصدر نفسه ، ص ٩٦.
(٤٢) المصدر نفسه ، ص ٨٧.
(٤٣) المصدر نفسه، ص٩٤،
(٤٤) المقري ، نفخ الطيب ،ج١،ص ٢٢٣ .
(٤٥) يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ،(بيروت، ١٩٩٢م) ،ص١١١.
(٤٦) مونزر ، رحلة الى اسبانيا والبرتغال ، ص١١٥.
(٤٧) المصدر نفسه ،ص٨٥.
(٤٨) المصدر نفسه ، ص٩٩.
(٤٩) آريه، راشيل، تاريخ أسبانيا ألإسلامية، ترجمة، اوس ناصر عبد العزيز، رسالة دبلوم، (غير منشور) ، كلية اللغات ، جامعة بغداد، ٢٠٠٠م، ص٥١.
(٥٠) هونكة زيغريد،شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة، فاروق بيضون، المكتبة التجارية، (بيروت، ١٩٦٥م)،، ص ٥٤.
(٥١) عبود، انسام،الموريسكيون في غرناطة ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م-١٠٠٧هـ/١٥٩٨م، دراسة في أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة البصرة، الآداب، ٢٠٠٠م ،ص٨٦.
(٥٢) كيب، جوزيف مايك، مدنية العرب في ألأندلس، ترجمة، تقي الدين الهلالي، مطبعة العاني، (بغداد ، ١٩٥٠ م) ، ص ٧٣
(٥٣) المرجع نفسه ،ص٦٠٩.
(٥٤) رحلة الى اسبانيا والبرتغال ، ص ٢١٢.
(٥٥) المصدر نفسه، ص ١١٥.
(٥٦) المصدر نفسه ، ص ١١٥.
(٥٧) المصدر نفسه ، ص ١١٥.
(٥٨) المصدر نفسه ، ص ٢١٢.
(٥٩) المصدر نفسه، ص ٢١٢.
(٦٠) المصدر نفسه، ص ٢١٢.
(٦١) المصدر نفسه ، ص ١١٥.
(٦٢) المصدر نفسه ، ص ١١٥.
(٦٣) سامية مصطفى محمد،،الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة ، مكتبة الثقافية الدينية ، (مصر ،٢٠٠٣م)، ص٧٨ .
(٦٤) رحلة الى اسبانيا والبرتغال ،ص ١١٢.
(٦٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠٦.
(٦٦) الونشريسي ،ابو عباس احمد بن يحيى، (ت٩١٤ هـ/ ١٥٠٨م)،المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، أخرجه جماعة من الباحثين، بإشراف محمد الحجي، دار الغرب ألإسلامي، (بيروت، ١٩٨١)ج٣،ص٢٥.

(٦٧) رحلة الى اسبانيا والبرتغال ، ص ٦٥.
(٦٨) المصدر نفسة ،ص ٦٥.
(٦٩) المصدر نفسة ،ص ٦٦.
(٧٠) المصدر نفسة، ص ٦٨.
(٧١) المصدر نفسه ، ص ٦٨.
(٧٢) المصدر نفسه ، ص ٦٨.
(٧٣) المصدر نفسه ، ص٧٤.
(٧٤) المصدر نفسه، ص٧٥.
(٧٥) المصدر نفسه ، ص٧٥.
(٧٦) المصدر نفسه، ص ٨٤.
(٧٧) المصدر نفسه ، ص٨٥.
(٧٨) المصدر نفسه ، ص٨٥.
(٧٩) المصدر نفسه ، ص٨٥.
(٨٠) المصدر نفسه ، ص٩٢.
(٨١) المصدر نفسه ، ص٩٢..
(٨٢) المصدر نفسه، ص٩٢.
(٨٣) المصدر نفسه ، ص٩٣.
(٨٤) المصدر نفسه ، ص٩٥.
(٨٥) المصدر نفسه ، ص٩٥.
(٨٦) المصدر نفسه ، ص٩٩.
(٨٧) المصدر نفسه، ص ٩٩-١٠٠.
(٨٨) المصدر نفسه، ص١٠٠.
(٨٩) المصدر نفسه ، ص١٠٠.
(٩٠) المصدر نفسه ، ص١٠٠.
(٩١) المصدر نفسه ، ص١٠٠.
(٩٢) المصدر نفسه ، ص١٠١.
(٩٣) المصدر نفسه، ص ١٠١.
(٩٤) المصدر نفسه ، ص١٠١.
(٩٥) المصدر نفسه ، ص١٠٤.
(٩٦) المصدر نفسه، ص١٩٤.
(٩٧) المصدر نفسه ، ص٢٠٦.
(٩٨) المصدر نفسه، ص ٩٢.
(٩٩) المصدر نفسه ، ص٢١٤.
(١٠٠) المصدر نفسه، ص١١٤.
(١٠١) المصدر نفسه ، ص٧٤.
(١٠٢) المصدر نفسه، ص ١١٤.
(١٠٣) المصدر نفسه ، ص١١٤.
(١٠٤) المصدر نفسه ، ص٧٦.
(١٠٥) المصدر نفسه ، ص١١٢.
(١٠٦) المصدر نفسه، ص ٩٥.
(١٠٧) المصدر نفسه ، ص١١٤.
(١٠٨) المصدر نفسه ، ص١١٤.
(١٠٩) المصدر نفسه ، ص١١٤.
(١١٠) المصدر نفسه ، ص١١٤.
(١١١) المصدر نفسه ، ص٧٦.
(١١٢) المصدر نفسه، ص ٧٦.
(١١٣) المصدر نفسه، ص٧٧.
(١١٤) المصدر نفسه ، ص٧٧.
(١١٥) المصدر نفسه ، ص٨٤.

(١١٦) **رحلة الى اسبانيا والبرتغال ، ص٨٤.**
(١١٧) **المصدر نفسه ، ص٨٦.**
(١١٨) **المصدر نفسه ، ص٩٥.**
(١١٩) **المصدر نفسه، ص ٨٥.**
(١٢٠) **المصدر نفسه ، ص٨٥.**
(١٢١) **المصدر نفسه ، ص٨٦.**
(١٢٢) **المصدر نفسه، ص٩٣.**
(١٢٣) **المصدر نفسه ، ص٩٣.**
(١٢٤) **المصدر نفسه ، ص٩٥.**
(١٢٥) **المصدر نفسه ، ص٩٥.**
(١٢٦) **المصدر نفسه، ص ٩٥.**
(١٢٧) **المصدر نفسه ، ص١٢٣.**
(١٢٨) **المصدر نفسه ، ص٨٥.**
(١٢٩) **المصدر نفسه ، ص١٣٠.**
(١٣٠) **المصدر نفسه ، ص١٣١.**
(١٣١) **المصدر نفسه، ص١٤٢.**
(١٣٢) **المصدر نفسه، ص٢٠٩.**
(١٣٣) **المصدر نفسه، ص ٢٠٩.**
(١٣٤) **المصدر نفسه ، ص٨٦.**
(١٣٥) **المصدر نفسه ، ص٧٩.**
(١٣٦) **المصدر نفسه ، ص٨٦.**
(١٣٧) **المصدر نفسه ، ص٨٦.**
(١٣٨) **المصدر نفسه، ص ٨٦.**
(١٣٩) **المصدر نفسه، ص٨٦.**
(١٤٠) **المصدر نفسه ، ص٨٦.**
(١٤١) **المصدر نفسه ، ص٧٩.**
(١٤٢) **المصدر نفسه، ص ٧٩.**
(١٤٣) **الونشريسي ، المعيار المغرب، ج١٠،ص٢٩٨.**
(١٤٤) **مونزر ، رحلة إلى اسبانيا والبرتغال ، ص ٤٧.**
(١٤٥) **المصدر نفسه ، ص٢١٣.**
(١٤٦) **المصدر نفسه، ص ٨٢.**
(١٤٧) **المصدر نفسه ، ص٩٧.**
(١٤٨) **المصدر نفسه، ص٩٣.**
(١٤٩) **ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج١، ص١٢٠.**
(١٥٠) **مونزر ، رحلة إلى اسبانيا والبرتغال، ص٦٠.**
(١٥١) **المصدر نفسه، ص٦٦.**
(١٥٢) **المصدر نفسه ، ص٦٧.**
(١٥٣) **المصدر نفسه، ص ٩٧.**
(١٥٤) **المصدر نفسه ، ص٦٧.**
(١٥٥) **المصدر نفسه ، ص٢١٣.**
(١٥٦) **المصدر نفسه، ص٤٧.**
(١٥٧) **المصدر نفسه ، ص٨٤.**
(١٥٨) **المصدر نفسه، ص ٢١٣.**
(١٥٩) **روسيون : Rousillon مقاطعة من مقاطعات فرنسا الجنوبية عند الجانب الشرقي من جبال البرانس. ينظر، غابرييلي، فرانشيسكو ، الإسلام في عالم البحر المتوسط ، بحث منشور في مجلة عالم المعرفة تراث الإسلام، تصنيف شاخت وبوزورث، ترجمة، حسين مؤنس، ط٢، مطابع الوطن، (الكويت، ١٩٨٨م). ، ج١، ص٣٠٨ .**
(١٦٠) **المرجع نفسه ، ج١ ، ص١١٨ .**

[161] بنحمادة ، سعيد ، الماء والإنسان في ألأندلس خلال القرن ٧ و ٨ هـ/١٣ و ١٤م أسهام في دراسة المجال والمجتمع والذهنيات ، دار الطليعة ، (بيروت ، ٢٠٠٧م) ، ص٤٦ .
[162] رحلة إلى اسبانيا والبرتغال ، ص٨٠.
[163] المصدر نفسه، ص٧٥.
[164] مادون ، باسيليو بايون ، العمارة في الاندلس ، ترجمة عليابراهيم المنوفي ، المجلس الاعلى للثقافة ،(القاهرة، ٢٠٠٥م)، ج١،ص٤٦١.
[165] رحلة إلى اسبانيا والبرتغال، ص١٨٤.
[166] المصدر نفسه ، ص٢١٠.
[167] المصدر نفسه، ص٩٠.
[168] المصدر نفسه، ص ١٣٤-١٣٥.
[169] الغزال ، احمد بن المهدي،(ت١١٩١هـ/١٧٧٧م) ، نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد، دار الغرب الإسلامي، (بيروت،١٩٨٠م) ، ص٧٥ .
[170] ***١٧٠. Amador de los Rios, Inscripciones Arabes de sevilla por don rodigo Amador de los Rios don Jose Amador de los Rios, Madrid Imprenta dto for Tanet Calle de la libertad NL M ٢٩ ١٨٧٥, P. ٧٤.***
[171] مونزر ، رحلة إلى اسبانيا والبرتغال ، ص٢١١.
[172] المصدر نفسه ، ص١١٨.
[173] فراج، عز الدين ، فضل المسلمين على الحضارة الأوربية ،دار الفكر،(بيروت ،د.ت)، ص١٦٨.
[174] ابن أبي أصيبعة،موفق الدين أبو العباس احمد بن قاسم بن خليفة،(ت ٦٨٨هـ/١٢٨٩م)،عيون الإنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا،مكتبة الحياة ،(بيروت ، د.ت)، ص ٤٧.
[175] فيرنيت، خوان، فضل الأندلس على ثقافة الغرب، ترجمة نهاد رضا ، دار اشبيلية، (دمشق، ١٩٩٧م)، ٣٧٨.
[176] رحلة إلى اسبانيا والبرتغال ، ص١٠٤.
[177] المصدر نفسه ، ص١٠٤.
[178] المصدر نفسه ، ص١٠٤.
[179] المصدر نفسه ، ص١٠٩.
[180] المصدر نفسه، ص١٠٩.
[181] حتاملة، محمد عبده، لاندلس التاريخ والحضارة والمحنة مطابع الدستور ،(عمان ،٢٠٠٠م)، ص٦١٩
[182] رحلة إلى اسبانيا والبرتغال ، ص١٠٩.
[183] المصدر نفسه ، ص١١٠.
[184] المصدر نفسه ، ١١٩- ١٢٠.
[185] اشكر هي إحدى قرى مدينة بسطة الأندلسية . ينظر ترجمتها ابن الخطيب ، الإحاطة، ج١،ص ١٣١
[186] أبن الخطيب ، الاحاطة في اخبارغرناطة ،ج١،ص ٢٠٩؛ اللمحة البدرية،ص٧٢.
[187] رحلة إلى اسبانيا والبرتغال ،ص ٩١.
[188] احمد مختار، فترة مضطربة من تاريخ غرناطة، مجلة المعهد للدراسات الإسلامية في مدريد ، مج ٧،٨ (مدريد ،١٩٦٠) ، ص٤٩
[189] العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في ألأندلس، مطبعة سامي، (مصر، ٢٠٠٣م) ، ص٢٣٨.
[190] رحلة إلى اسبانيا والبرتغال ،ص ١٠١.
[191] المصدر نفسه ،ص١٢٦.
[192] المصدر نفسه،ص ١٢٦.
[193] المصدر نفسه ،ص ١٢٧.
[194] المصدر نفسه، ص ١٢٩.
[195] المصدر نفس،ص ١٢٦.
[196] المصدر نفس، ص ١٠١.
[197] المصدر نفسه، ص ١٠١.
[198] المصدر نفسه ،ص ٩٦.
[199] ينظر ، المصدر نفسه ،ص ٩٥.